وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة — إدارة نشر التراث القديم

ديوان
المعتمد بن عباد
ملك اشبيلية

جمعه وحققه

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث القديم بوزارة المعارف

أشرف عليه وراجعه

حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا

وزير المعارف العمومية

دار الكتب المصرية
قسم التحقيق والنشر

حق الطبع محفوظ للوزارة

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥١

وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة — إدارة نشر التراث القديم

ديوان
المعتمد بن عباد
ملك اشبيلية

جمعه وحققه

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث القديم بوزارة المعارف

تشرف عليه ورجعه

حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا

وزير المعارف العمومية

دار الكتب المصرية

قسم المخطوطات والتراث

عن النسخ المخطوطة للوزارة

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥١

الفهـــرس

الصفحة

المعتمد بن عباد — الملك ... ... م(١)
» » — الشاعر ... ... م(١٤)
من أقوال مؤرخيه ... ... م(٣٣)
ديوانه ... ... م(٣٦)
القسم الأول : عهد الإمارة والملك ١
غزل وخمر ١
وصف ٢٨
إلى أبيه ٣١
فى أولاده ٤٦
رسائل ٤٩
فخر ٦٥
رثاء ٦٨
حكم ٧١
الإجازة ٧٤
المعميات ٧٧
عهد المحنة والأسر ٨٧
(أ) قبيل الأسر ٨٧
(ب) فى الأسر ٨٩
ملحق ١١٩
فهرس القوافى ١٢١
فهرس الأعلام ١٢٨
فهرس البلدان والأماكن ١٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المعتمد الملك

فرع من دوحة بنى عباد ، أسرة عربية من أعرق الأسر وأقواها وأثراها ، نزحت من العريش إلى الأندلس[1] فاستقرت فى غربيّه حينا ، ثم انتقلوا بعد إلى إشبيلية فاستوطنوها وعَمَّروها ، وكانوا فيها أهل النباهة والشأن .

ظهر أمرهم فى عهد الدولة الأموية ، ولا سيما القرن الرابع فقد "تصدّوا لخدمة الملوك من بنى أمية ، فصرفوهم فى الأمور العلية ، فكثرت فيهم الوجاهة والنباهة ، إلى دولة الحكم المستنصر ، ودولة ابنه هشام المؤيد ، وحاجبه المنصور[2]".

كان صدر بيتهم ومؤسس مجدهم إسماعيل بن عباد ، من أهل الثروة والجاه واليسار ، كما كان من أهل الأدب والفقه . وكان الفقه فى الأندلس ممهدا للمراكز الرفيعة[3] . وقد اتصل إسماعيلُ هذا بالمنصور بن أبى عامر "فقدمه على خطة القضاء فاتصل استعماله إلى زمن انقراض الدولة الأموية . ."[4] واستطاع إسماعيل أن يؤلف بجوده وبرّه قلوب الكثيرين حوله .

هذا الصنيع وذلك النفوذ الذى كان يتمتع به ابنُ عباد ، قد حمل القاسمَ بن حمّود ، حينما استولى على إشبيلية — على أن يجعل عليها أبا القاسم محمّد بن إسماعيل ، بعد

---

(١) ابن خلكان .
(٢) البيان المغرب ، ٣ : ١٩٣
(٣) نيكلسون ص ٤٢٠
(٤) أعمال الأعلام ٣ : ١٧٧

وفاة أبيه " فاستظهر به على مهمات تلك الحضرة ، واستنام إليه لمحله من الجلالة والأصالة فى النظر ، ووفور المـآنية "[1] .

فلمـا كان عصر الفتنة والمحنة ، استخلص محمدٌ لنفسه لقب السيادة على إشبيلية ، سنة ٤١٣ هـ وعاونه فى ذلك أصدقاؤه وأعوانه الأقوياء ، وظل يبسط سلطانه على نواح كثيرة ، بينما كانت الدولة الأموية تتصدّع وتتمزق ، وتقترب من مصيرها المحتوم .

ولم يكد يموت أبو القاسم محمد بنُ إسماعيلَ بنِ عباد فى سنة ٤٣٣ حتى خلفه ابنه أبو عمرو عباد ، وتلقب بالمعتضد ، وهو والد المعتمد . وفى ذلك الوقت خبا نجم الدولة وانهار صرحها ، بعد أن عاشت قرابة أربعة قرون . وأخذ كل أمير ينتزى على ما تحت يده ، وكل وال يستقل بمـا ولى عليه . وبات التطاحن بين الأمراء الذين تقاسموا أشلاء الدولة قويا عنيفا . وكان المعتضد بن عبـاد — كما يقول ابن بسام — " قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة "[2] .

كان أقوى هؤلاء الأمراء المتوثبين ، وأعظم هؤلاء الملوك المسمّين بملوك الطوائف . كان طاغية جبارا ، له سياسة أعيت على أنداده من ملوك الأندلس . وقد اتجهت مطـامعه إلى غزو جيرانه ولا سيما البربر فى الجنوب والجنوب الشرقى من شبه الجزيرة ، ففتح ما يجاوره من البلاد ، وأخضع كثيرين لسلطانه ، ولم تخل أيامه فى أعدائه كما وصفه الدانى الشاعر " من تقييد قدم ، ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم . حتى لقـد كان فى داره حديقة لا تثمـر إلا رءوسا ولا تنبت إلا رئيسا . فكان نظره اليهـا أشهى مقترحاته وفى التفاتته إليها جعـل جلّ بكره

---

(١) المعجب لساق ٣ : ١٧٨ (٢) الذخيرة ٢ . .

وروحانه . فأبكى وأرّق ، وشتت وفرّق . ولقد حكى عنه من أوصاف التجبر ما ينبغى أن تصان عنه الأسماع "[1] .

اشتبك المعتضد فى حروب طاحنة مع البربر أمراء غرناطة ومالقة وغيرهما فانتصر عليهم جميعا " وانضاف إلى بلاده عمل قرمونة وعمل الجزيرة . . . . كل هذا وهو قاعد فوق أريكته، منفذ للعظائم من جوف قصره[2]" فاتسع بذلك بلده، وكثر عديده وعدده وغدت إشبيلية أعظم قوة فى الأندلس .

ثم خلف المعتضد على عرش إشبيلية ابنه أبو القاسم محمدٌ سنة ٤٦١ وتلقب بالمعتمد على الله، والظافر بحول الله، والمؤيد بالله. وكان فتى فى الثلاثين من عمره حين أورثه أبوه ملك إشبيلية . وكان المعتمد أعظم ملوك الطوائف جميعا، كما كان زمنه " مشهورا بالراحات والآداب ، وأيامه موصوفة باخضرار الجناب[3] "

كان المعتمد وثيق الشبه بأبيه. لا يختلف عنه فى شئ إلا أنه كان دون أبيه شدة وعنفا . أما ماسوى هذا فكلاهما كان صورة لأمير عظيم من أمراء الفروسية، قد امتاز بالبأس والشجاعة وشدة الشكيمة ، وكلاهما قد اتصف بالسخاء والجود وسبوطة البنان وحسن الصنيع . وكلاهما اشتهر بالقريض وحسن النظم والحدب على أهل الأدب ، فقد نظر المعتضد إلى الأدب " قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان أدنى نظر بأذكى طبع ، وأعطته سجيته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام .

---

(١) الحلل السندسية ٣ : ٣٠٨ (٢) أعمال الأعلام ٣ : ١٨١

(٣) أعمال الأعلام ٣ : ١٨٩

وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة فى معان أمدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الإرادة[1] " . كقوله :

شربنا ، وجنحُ الليل يغسلُ كُحلَه بماء صباح والنسيمُ رقيقُ
معتّقةٌ حمراءَ ، أما بخارها فضخمٌ ، وأما جسمها فدقيق

وكان له دار لا يدخل عليه أحد فيها غيرُ الشعراء ، وكان يوم الاثنين من كل أسبوع كما روى نفح الطيب .

ومن قبله كان أبوه القاضى محمدُ بنُ إسماعيل " يشارك الشعراء والبلغاء فى صنعة الشعر وحوك البلاغة ، بسطا لهم وإقامة لهممهم ، ولما كان فى طبعه من ذلك[2] " .

وكذلك كان المعتمد كأبيه وجده شاعرا صادقا بكل ما توحى به هذه الكلمة من معان . خُلق ليقرض الشعر ، وليتغنى الإحساس بجماله . وكان شعره كما يقول المعجب كالحلل المنشرة . وقد اجتلب إليه من أعلاق الثناء ، ونثر عليه من درر الحمد ، ووضع فى يديه الكثير من حر القريض ، ولكن أحدا من الشعراء لم ينشده — كما قالوا — أشعر منه .

ولقد بلغ من حبه للشعر أنه كان لا يستوزر كاتبا ولا وزيرا ما لم يكن شاعرا . وقد سعى فى اجتذاب الشعراء والأدباء ، فوفدوا عليه ، ونالوا الجزيل من برّ يديه ، حتى صارت إشبيلية فوق علوها السياسى ، صاحبة العلو الثقافى أيضا .

---

(1) الذخيرة ٢ : ١٤ . (2) المصدر نفسه ٢ : ٣ .

والمعتمد وأبوه بعد هذا كله ، أو إلى جانب هذا كله ، قد عملا على تكوين دولة غدت أقوى دولة بالأندلس فى عهد الطوائف . وقد مهد المعتضدُ هـذه الدولة "فوق أطراف الأسنة ، وصيرا أكثر شغله فيها شب الحروب ، وكيد الملوك ، واهراج البلاد وإحراز التلاد[1] "

وكذلك كان المعتمد : فقد واصل الخطو على ما رسَمَ له أبوه . فكانت له حروب ، وعليه آخر الأمر خطوب . وقد استفحل أمره بغربى الجزيرة ، وعلت يده على معظم الأمراء ، خلا بنى ذى النون أمراء طُلَيطلة .

والمُلك إن لم تضمه يد قوية ، وتسهر عليه عيون يواقظ ، فهو صائر حتما إلى زوال . ومن هنا كانت الصلة السياسية بين المعتمد وأبيه صلةَ جِدّ وعمل .

ذهب المعتمد إلى فتح مانقةَ ومعه أخوه جابر ، ولم يمض قليل على فتحها ، حتى عاد باديس الصنهاجى فانتزعها ، واضطر المعتمد وأخوه إلى الفرار الى رُندة . وقد أثارت هـذه الحادثة غضب المعتضد على ابنه ، فظل المعتمد يستعطف أباه ويعتذر عما فرط ، فى قصيدة رائية ، هى أطول قصائد المعتمد جميعا :

سكن فؤادك لا يذهبْ بك الفِكَرُ ماذا يُعيد عليك البثُّ والحذرُ؟

وبغير هذا من الشعر كقوله يسترضيه :

مولاى أشكو اليك داءً أصبح قلبى به قَريحا
إن لم يُرحه رضاكَ عنى فلست أدرى له مُريحَا
سُخطُك قد زادنى سقَاماً فابعث إلىَّ الرّضا مَسيحَا[2]

---

(1) أعمال الأعلام ٣ : ١٨١ (2) انظر تمام الأبيات ص ٣٣

والأمر بين المعتضد وابنه المعتمد ، كالأمر بين المعتمد وابنه الراضى . فقد حدث أن هاجم العدو «لُورقة» فأمر المعتمدُ ابنَهُ الراضى أن ينفر إليها ، فتباطأ وتشاغل بالقراءة ، فحجب المعتمد عنه وجه رضاه حينا ، ثم غلبت عليه عاطفة الأبوة فكان منه حنو ورضا عليه فكتب إليه مازحا :

المُلكُ فى طى الدفاتر فتخل عن قَود العساكر

كانت الإماراتُ الأندلسية قد أنهكتها الفتن ، وحطمتها الحروب ، وأوهنها مهاجمة القشتاليين فى الشمال . وقد ساعد المعتمدَ حسنُ الطالع فى الحروب التى شنَّها على الأدارسة ومن والاهم ، وعلت يده على كثير من الأمراء ، ولم يكن ثمة من يخشاه ، خلا أمراءِ طُليطلة الأقوياء .

كان هؤلاء الأمراءُ ألدَّ أعداء المعتمد ، وأعظمهم خطرا عليه ، فكان عليه أن يسعى إلى إسقاطهم . وقد نشبت بينه وبين المأمون بن ذى النون وقائع ومعارك ، انتهت باستيلاء ابن ذى النون بمعاونة ابن عكاشة على قرطبة ، وقَتل سراج الدولة بن المعتمد . ولكن المعتمد ما لبث أن عاد سريعا ، فاسترد قرطبة منه ، وقتل ابن عكاشة انتقاما لابنه سراج الدولة . وكان استرداد قرطبة حادثا خطيرا فى تاريخ إشبيلية السياسى إذ كانت عاصمة الأندلس فى الدولة الأموية وطالما عزت على غير المعتمد من ملوك الطوائف . ولم يلبث المأمون أن تُوفى فى ذلك العام . فخلفه ابنه القادر بالله وكان ضعيفا ، فاهتبل المعتمد الفرصة وغزا طليطلة ، واستولى على كثير من أنحائها كمرسية و بلنسية .

كان يومئذ على قشتالة الفونسو السادس ، وكان أميرا وافر الحزم عظيم الدهاء . وكان صديقا لبنى ذى النون ، إذ عاونوه فى محنته حينما هزمه أخوه شانشو واستولى

على مملكته قبل ذلك بأعوام . ولكنه مع ذلك كان يضمر هم سوءا و يتطلع إلى انتزاع ملكهم من بين أيديهم .

كانت هذه الصلة بين أمراء طليطلة وأمير قشتالة ، خطرا عظيما على المعتمد . فكان عليه أن يبعد هذا الخصم القوىّ عن بنى ذى النون ، إذا أراد أن يغنم سيادة إسبانيا الإسلامية . فسعى المعتمد إلى صداقة مَلِك قشتالة ، و بعث إليه بأبرع ساسة الأندلس فى عصره ليفاوضه ، وهو ابن عمّار وزيره . واستطاع ابن عمار أن يعقد معاهدة سرية بين الفونسو والمعتمد ، تعهد فيها ملك قشتالة ، بمعاونة المعتمد على محاربة خصومه ، وتعهد المعتمد من قبله أن يترك الفونسو حرا فى محاربة طليطلة ، وأن يؤدى له مقادير كبيرة من المـال .

وهكذا ضحى المعتمد بالمعقل الأكبر لإسبانيا الإسلامية ، وهى طليطلة . فلم يمض قليل حتى استولى ألفونسو على طليطلة سنة ٤٧٨ هـ وسقطت بذلك مملكة بنى ذى النون ، وسقط أمنع حصن للمسلمين فى يد الإسبان . وكان سقوطها أمرا جللا فبكى عليها الأدباء ونعاها الشعراء . يدلنا على فداحة هـذا الخطب تلك الأبياتُ التي نفس بها اليحصبي عن نفسه :

حُثّوا رواحلَكم يا آل أندلس ... فما المُقَـام بهـا إلا من الغَلَط
الثوبُ ينسل من أطرافه ، وأرى ... ثوبَ الجزيرة منسولا من الوسَط

* * *

وسرعان ما أدرك المعتمدُ سوءَ فعله ، وفداحة أخطائه . فصبّ جام غضبه على ابن عمار ، إذ هو الذى جر على المعتمد سوء العاقبة . ذلك أن حليفه بالأمس

ما كاد يفتح طليطلة ، حتى أخذ فى الاستيلاء على غيرها من الأراضى الواقعة على ضفتى نهر تاجة . ولم يقنع بهذا بل طالب المعتمدَ بِرَدّ ما كان تحت يده من حصون أخذها قبل من طليطلة .

وهنا جزع المعتمد ، وشعر بالخطر المحدق بمُلكه . فلم يمض قليل حتى أعان ألفونسو الحرب على المعتمد ، حين أبى أن يَرُدّ إليه شيئا مما أخذ ، وأحس أمراء الطوائف بأن هذا العدو سوف يجتاح ممالكهم ، وينقض على مدنهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يكونوا صفا ضد عدوهم ، واتفقت كلمتهم بعد الرأى والمشورة على أن يستصرخوا إخوانهم المسلمين فى إفريقية ، فاستغاثوا بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين — وكان المرابطون يومئذ فى أوج عزهم وسلطانهم — فاستجاب لندائهم ، وعبر بحر الزقاق إلى الأندلس فى جيش لَجِب ، وسارت قوى الإسلام تحت لواء يوسف والمعتمد إلى قتال ألفونسو . والتقى الجمعان يوم الجمعة المشهور فى موضع قريب من بطليوس يعرف بالزلاقة [1] وفيه دارت المعركة وكانت الدائرة فيها على القشتاليين .

* * *

عاد يوسف إلى بلاده بعد هذا اليوم المشهود ، ورأى عن كَثَب ما آل إليه حال البلاد ، وما كان عليه أهلها من شقاق وتنازع وتنافر ، الأمر الذى سيقرر مصيرهم على يد عدوهم ألفونسو الرابض لهم بالمرصاد .

ولم يمض طويل ، حتى عاد يوسف إلى الأندلس للجهاد فى سنة ٤٨١ هـ ولكنه لم يقم بغزوات ذات خطر ، ثم رجع إلى إفريقيـــة وقد ازداد سخطا على أمراء

---

(١) انظر ما ذكرنا عن يوم الزلاقة مفصلا فى ص (١٧)

الأندلس جميعا . فلما كانت سنة ٤٨٤ هـ دخل الأندلس للمرة الثالثة وكان يُسِرُّ فى نفسه القضاء عليهم جميعا . فسار إلى غرناطة واستولى عليها ، ثم وزع جيوشه ، وفرق كتائبه ، على نواح أخرى من المدائن ، وركّز قوته الرئيسية نحو المعتمد .

ذهب جيش إلى قرطبة وكان عليها المأمون[1] بن المعتمد فدافع المأمون دفاعا مجيدا ، حتى قتل فى صفر سنة ٤٨٤ هـ . وانتصر جيش ثان ليوسف على الراضى[2] بن المعتمد فى (رُندة) ، وكان مصير الراضى كمصير أخيه المأمون .

وسار جيش ثالث ، بقيادة سير بن أبى بكر إلى إشبيلية ، حيث المعتمد ، فتأهب للدفاع ، واستنجد بحليفه الفونسو فأمده بجيش ، ولكن المرابطين سرعان ما أدركوه فهزموه قريبا من قرطبة ، فأجبر المعتمد على أن ينزل بقواته كلها فى الميدان لقتال المرابطين ، ولكن المرابطين كانوا أكثر عددا فهزموه ، وارتد المعتمد إلى إشبيلية وامتنع بها . الى أن كان يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة ٤٨٤ هـ فدخل البلد على المعتمد " فبرز من قصره متلافيا لأمره . عليه غلالة ترف على بدنه . وسيفه يتلظى فى يده ، فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا ، فرماه الفارس برمح التوى على غلالته ، وعصمه الله تعالى منه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس ، فشقه الى أضلاعه ، فخر صريعا سريعا . قال الدانى : فرأيت الفاتحين عندما تسنّموا الأسوار تساقطوا منها وبعدما أمسكوا الأبواب تخلوا عنها[3] .... "

---

(١) أنظر ترجمته ص ٦٨

(٢) « « ص ٦٨

(٣) من وصف الدانى وكان من شهود ذلك اليوم وانظر نفح الطيب ٤ : ١١٠ (مصر) .

ثم عاد المعتمد إلى قصره، واستمسك به يومه وليلته، مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وفى ذلك يقول :

إن يسلب القومُ العدا ... مُلكى وتُسلبنى الجمُوعْ
فالقلبُ بين ضُلوعه ... لم تُسلم القلبَ الضُّلوع

والتوت الحال بالمعتمد بعد هذا اليوم أياما " إلى أن كان يوم الأحد الحادى والعشرون من رجب، فعظم الخطب فى الأمر الواقع، واتسع الخرق فيه على الراقع، ودُخل البلد من جهة واديه، وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه، وترامية على الموت بنفسه. مالا مزيد عليه ولا انتهى خلق اليه. فشنت الغارة فى البلد، ولم يُبق فيه على سبد لأحد ولا لبد، وخرج الناس عن منازلهم، يسترون عوراتهم بأناملهم، وكشفت وجوه المخدرات العذارى، ورأيت الناس سُكارى وما هم بسكارى[1]..."

* * *

فى هذه الحرب المستعرة خرج ابنُ عباد وابنه مالك، فقتل مالك بين يديه، وكوثر المعتمد فأغمد سيفه. ونزل من القصر إلى الأسر، وامتدت اليه يدعدوه العاتى، فوضع الثقاف فى يده، وحمل هو وآله فى سفائن أعدت لهم، وسارت بهم فى الوادى الكبير فى طريقهم إلى أغمات، وقد احتشد الناس على ضفتى النهر يودعون راعيهم بالبكاء ويذرفون على أيامه سخين الدموع. وكان الدانى الشاعر ممن شهد تلك الساعات الفاصلة فى تاريخ إشبيلية فأثارته تلك الخطوب التوالى، وحركن عنده لواعج الحزن والأسى واللوعة، فرثى ملك سيده ومولاه بداليته المشهورة :

تبكى السماءُ بدمع رائحٍ غادى ... على البهاليل من أبناء عبادِ

(١) من وصف الدانى أيضا وانظر الفتح (١١٠٤ مصر)

وأسره كتابا سماه (نظم السلوك فى وعظ الملوك) كما رثى دولته ابن عبد الصمد فى قصيدة دالية قالها يوم العيد الذى توفى المعتمد فى شهره ومطلعها :

ملك المـــلوك أسامعٌ فأنادى أم قد عدتك عن السماع عوادى

وقد رأينا من المؤرخين من يأخذ على يوسف فعله بالمعتمد، يقول ابن الأثير :
" فقد أبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدر[11] "

وعلى الرغم مما أصاب المعتمد وآله . فان المحنة لم تروّع قلبه ، ولم يطأطئ هامته لقسوة يوسف . فما ذل ولا استعطف ، ولا استرحم ولا استشفع ، ولا ارتاع ولا رُوِّع . وإنما كان كالبدر ، لم يحجب ضياؤه ، ولم يُستر سناؤه . وكان عزاؤه فى محبسه . وغذاؤه الروحى فى أسره . إنما هو الشعر يبثه كامن حزنه ، وينفث فيه ذاهب مجده، ويتوجع فيه لمصرع بنيه وفلذة كبده . ولعل أصدق ما يصور نفسه فى سجنه قولُه :

تُؤمـــل للنفس الشجيـة فَـرجةً وتأبى الخطوبُ السودُ إلا تَماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتَ كذا صحبتْ قبلُ الملوكُ الياليا
نعـيمٌ وبؤسٌ، ذا لذلك نـاسخٌ وبعـدهما نسخ المنَـايا الأمانيا

هذه لمحة سريعة، وتأملات عابرة، تثيرها فى النفس محنة المعتمد . فلنودع المعتمد الملك . لنستقبل بعد المعتمد الشاعر .

---

[11] الكامل (١٠ : ١٣)

المعتمد الشاعر

(١)

ولد فى مهـاد الملك ، وعاش أميرا فملكا ، لم تدفعه الحـاجةُ إلى الارتزاق بشعره ، وإنّما كان كالعصفور الغَرِد ، يمتلىء شعورا بالحياة ، فيُغنّى ، وتبهجه آيات الجمال ، فيصدح ، لا يُضطرّ إلى أن يُلبس عواطفه غير لَبوسها .

وقد رأى والده فيه بادرة هذا النّبوغ ، فشجّعه على أن يقرض الشّعر ، وعرف الابن فى أبيه حبّه للشّعر ، فاتّخذه فى رسائله إليه ، يمدحه آنا ، ويستعطفه حينا ، ويعتذر إليه مرّة ، ويطلب منه بعض إنعامه تارة أخرى ، كما سترى ، عالما منه بما للشّعر من تأثير فى نفس أبيه ، وبأنّه جدير أن يبلغ به ما يريد .

وأغرم المعتمد بالشّعر ، حتى كان يكتبه فى رقعة الدّعوة إذا دعا ، ويستجيز به الشّعراء ، وكثيرا ما كان يرسل إلى وزرائه ، وندمائه وشعرائه ، رسائل بالشعر ، بدل منثور الكلام .

(٢)

وكان شعره صورة للحياة التى عاشها ، فى عهد الإمارة والملك ، حياة التّرف والجلال معا ، تراها ممثّلة فى قوله :

ولقد شربت الرّاح يسطع نُورها ... والّليل قد مدّ الظّـلام رداءَ
حتّى تبدّى البدرُ فى جوزائه ... ملكا تناهى بهجة وبهـاء
لمّا أراد تنزّهـا فى غربه ... جعل المظـلّة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النّجوم يحفّـه ... لألاؤهـا ؛ فاستكمل الآلاء

وترى الكواكب كالمواكب حوله رفعت ثريّاها عليه لواء
وحكيتُه فى الأرض ، بين مواكب وكواعب ، جمعت سنًا وسناء
إن نشرت تلك الدروع حنادسًا ملأت لنا هذى الكئوس ضياء
وإذا تغنّت هذه فى مِزْهَرٍ لم تأل تلك على التّريك غناء

فحياته كما ترى، بين راح يسطع نورها فى ظلمة الليل . تحت أضواء بدر ، يملأ الكون بهاء وبهجة ، تحفّ به النجوم المتلألئة . كما تحفّ الرّعيّة بمليكها . وهنا يعقد موازنة بين نفسه فى الأرض . والبدر فى السّماء ؛ فهو فى ملكه بين مواكب من الجند أو بين كواعب أتراب ، يصدحن بأعذب الموسيقى ، وأرقّ الغناء .

وملهاة أخرى كانت أثيرة لديه ، تلك هى ملهاة الصّيد . يطلب من والده حينا أن يأذن له بساعة ينفقها فيه ، ويرى فى ذلك منّة من والده عليه ؛ وحينا يرسل إلى أبيه يحدّثه عن ساعة قضاها فى الصّيد والقنص .

وكان للأحداث السّياسية صداها فى شعره ، ولعلّ أعظم تلك الأحداث استيلاؤه على قرطبة ، وهو حادث ملأ نفسه زهوا ، وربّما أفعم قلبه بالأمل فى أن يوحّد الأندلس العربية تحت رايته ويقيم فى البلاد دولة بنى عبّاد . ولا جرم ، فقد كانت قرطبة عاصمة الأندلس كلّها ؛ يوم كان الحكم العربىّ مزدهرا بتلك الديار . ويُبين المعتمد عن هذا الزهو ، وذلك الأمل ، فى قوله :

من للملوك بشأو الأصيد البطلِ ؟! هيهات جاءتكمُ مَهديّة الدّولِ
خطبت قرطبة الحسناء إذ منَعت من جاء يخطبها بالبيض والأسَلِ

عِرْس الملوك لنا فى قصرها عُرُسٌ كلّ المسلوك به فى مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب . لا أباكُمُ هجوم ليثٍ . بدرع البأس مشتمل

ومن أعظم هذه الأحداث أيضا، تلك المعركةُ التى دارت رحاها يوم العروبة، بين المعتمد بن عبّاد والمرابطين وأمراء الأندلس من ناحية، وبين ألفونس السّادس ملك قشتالة من ناحية أخرى . وعرفت فى التّاريخ بمعركة الزّلّاقة . وقد تحدّث عن صبره على أوار تلك المعركة . والمؤرّخون يروون بلاءه فيها ، ويثنون على شجاعته واستبساله . وقد سجّل ذلك فى حديثه عن ابنه أبى هاشم ، حين ذكره ورحى القتال دائرة ، إذ يقول :

أبا هاشم هشمتنى الشّفارُ فللّه صبرى لذاك الأُوارْ!
ذكرت مُحيصك ما بينها فلم يَثْنِنى حبّه للفرار

و يظهر أنّه كان رقيق المعاملة لوزرائه وندمائه عظيم التّواضع لهم . كتب مرّة الى ذى الوزارتين أبى الوليد بن زيدون وكان المعتضد قد أمر أن يكون مجلس الوزير دون مجلس ولده المعتمد :

أيّها المنحطُّ عنّى مجلسًا وله فى النّفس أعلى مجلسِ
بفؤادى لك حبّ يقتضى أن تُرى تُحملُ فوق الأرؤس

ولذا لا نعجب أن يجيبه ابن زيدون . فيصفه بأنّه مَلَكٌ ، مالك بالبِرّ رقّ الأنفس .
كما كان يحبّ أن يأخذ الأمور بالرّفق واللّين . ويدلّ على ذلك شعره الّذى أرسل به إلى ابن عمّار، عقب نزوع هذا إلى أن يستأثر بمرسية :

متى تلقنى تلق الّذى قد بلوته صفوحا عن الجانى، رءوفا على الصّحب

كان شعر المعتمد أميرا وملكا . يفيض بالبهجة و يغمره السّرور . حتى إذا ماقلب الدّهر له ظهر المجنّ . فهاجمه يوسف بن تاشفين حليفه بالأمس ، انقلبت تلك الحياة الراضية حياة بؤس وشقاء ، ولعلّ من أوائل الكوارث التى نزلت به ، وفاة ولديه اللّذين كانا على قرطبة ورُندة ، عند ما أغار عليهما جيش يوسف . وهنا يبدأ عهد المحنة . و يفيض شعره الباكى الحزين ، حتّى إذا تمّ أسره . مضى الشّعر يروى إحساساته الحزينة ، وآلامه الدّفينة . وذكرياته المؤلمة ، وخواطره القاتمة ، كما سنرى .

(٣)

كان الغزل أهمّ أغراض شعر المعتمد . فى عهد الإمارة والملك ، وهو غزل حقيقىّ . تحدّث فيه عن عواطفه ، فى حال الرّضا والغضب ، والقرب والبعد . وأظهر ما فيه أنه غيرُ وقف على واحدة ، بل هن جوار وزوجات ، عرفنا منهنّ جوهرة ، وسُحر ، ووداد ، وقمر ، وزوجه اعتماد وأم الربيع . يقول فى الأولى منهنّ :

سرورنا دونكُمُ ناقص ... والطّيب لا صاف ، ولا خالصُ
والسعدُ إن طالعنا نجمه ... وغبت ، فهو الآفل النّاكص
تمسوك بالجوهر مظلومةً ... مثلك لا يدركه غائص

و يقول فى الثّانية :

عفا الله عن سِحرٍ على كلّ حالة ... ولاحو سبت عمّا بها أنا واجدُ
أسحر ، ظلمت النّفس ، واخترت فرقتى ... بجمعت أحزانى وهنّ شوارد
وكانت شجونى باقترابك نُزّحا ... فهاهُنّ لمّا أن نأيت . شواهد

ويقول فى الشتهن :

اشرب الكأس فى وداد ودادك ... وتأنّس بذكرها فى انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرآ ... ه . وسكناه فى سواد فؤادك

ويقول فى زوجه اعتماد أم الربيع :

تظنّ بنا أم الربيع سآمةً ... ألا غفر الرحمنُ ذنبا تُواقعُه
أأهجرُ ظبيا فى فؤادى كناسُه ... وبدرَ تمام فى جفونى مطالعه
وروضةَ حُسن أجتنيها ، وباردا ... من الظّلم ، لم تحظر علىّ شرائعه
إذًا عدمت كفّى نوالا تفيضه ... على معتفيها ، أو عدوًا تقارعه

وفيها يقول :

بكرت تلوم ، وفى الفؤاد بلابل ... سقمها ، وهل يَثنى الحليم الجاهلُ
يا هذه ، كفّى فإنّى عاشق ... من لا يردّ هواى عنها عاذل
حبّ اعتماد فى الجوانح ساكن ... لا القلب ضاق به ، ولاهو راحل
يا ظبية ، سبلت فؤاد محمد ... أَو لم يُروّعك الهزبر البأسل
من شكّ أنّى هائم بك مغرم ... فعلى هواك له علىّ دلائل :
لون كسته صفرة ، ومدامع ... هطلت سحائبها ، وجسم ناحل

وهذا الغزل الذى لا يقتصر على واحدة ، يدلّ على أنّ صاحبه مغرم بالجمال ، يُعجب به أينما كان ، لا كهؤلاء المحبّين الذين لا يرون الجمال إلّا ممثلا فى واحدة ، وليس حبّه حبًا عذريًا ، يمنع من الحب بالذكرى وطيف الخيال ،

فلا ترى فى غزله صوفيّة ، ولكنّه غزل دائم الحديث عن لذة المتعة بالجمال ، فتسمعه يقول :

الصّبح قد مزّق ثوب الدّجى فمزّق الهمّ بكفّى مهّا
خذ باسمها من ريقها بحرة فى لون خدّيها ، تجلى الأسى

ويخاطب من يحب قائلا :

متى أداوى يا فدا ك السّمعُ منّى والبصر
ما بفؤادى من جوىً بما بفيك من خَصَر

ويقول :

وشادن أسأله قهوة يجاء بالقهوة والورد
فبتّ أسقى الرّاح من ريقه واجتنى الورد من الخدّ

حتى فى النوم ، عندما يزوره طيف من يهوى ، لا يقنع إلّا بالحبّ الواصل ولا يرضيه إلّا أن يظفر فى النّوم ، بما كان يظفر به فى اليقظة فهو يرسل إلى من يحبّ رسالة ، منها :

إنّى رأيتك فى المنام ضجيعتى وكأنّ ساعدَك الوثيرَ وسادى
وكأنّما عانقتنى ، وشكوت ما أشكوه من وجدى ، وطول سهادى

والمعتمد يسجّل فى شعره ما ظفر به من متع حسّيّة بالجمال ، ويحنّ إليها إذا نأى عنها . وشعره فى الشّوق إلى الجمال المفارق بارع قوى . ومن ذلك ما كتب

به إلى ابن عمّار، يذكر عهده بشلب، وليانيه السعيدة بها . ومعاهد هوه فيها ، فقال :

ألا حيّ أوطانى بشلب . أبا بكر ... وسلهنّ : هل عهد الوصال كما أدرى
وسلّم على قصر الشراجيب عن فتى ... له أبدا شوق إلى ذلك القصر
منازل آساد . وبيض نواعم ... فناهيك من غيل ، وناهيك من خدر
وكم ليلة قد بتّ أنعم جُنحها ... بمُحصبة الأرداف . مجدبة الخصر
وبيض . وسمر . فاعلات بمهجتى ... فعال الصّفاح البيض والأسَل السمر
وليل بسدّ النّهر لهوا قطعته ... بذات سوار ، مثل مُنعطف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم ... فيا حسن ما انشقّ الكمام عن الزّهر
وباتت تُسقّيني المدام بلحظها ... فمن كأسها حينا وحينا من الثغر

وأغلب الظّنّ أن ميدان حبّه كان جواريَه وحظاياه ، وهؤلاء كنّ قريبات منه ، ولهذا لا تحسّ فى شعره لوعة ولا حرمانا ، فهجر الجوارى دلال ينتهى بوصل ، وخصام لا يلبث الصلح أن يعقبه ، والفراق إذا كان اليوم ، ففى غد اللّقيا والوصال ، وهو حين يغالى فى التّعبير عن أساه للهجر والفراق ، مدلّل لمن يهواه . وكثيرا ما صوّر لنا مداعبات جرت بينه وبين من يهوى ، ولعلّ من أرقّها تلك التى صورها ، وقد جرى بينه وبين جاريته جوهرة عتاب ، فكتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها ، فقال :

لم تَصُفْ لى بعد ، وإلّا فلِمْ ... لم أر فى عنوانها جوهره
دَرَت بأنّى عاشق لاسمها ... فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت : إذا أبصره ثانيا ... قبّله ، والله لا أبصره

وللمعتمد شعر بعث به إلى أبيه ، تلمس فيه ما كان يحمله الأمير الفتى لوالده من إكبار وإجلال . فهو حينا يمدحه مدحا يرفعه إلى التفرد بالمجد والسيادة ، إذ يقول له :

ألا يا مليكا ، ظلّ فى الخطب مفزعا ويا واحدا قد فاق ذا الخلقَ أجمعا

وحينا يرسل إليه يسأله بعض نعمه ، أو يطلب إليه منّاً ، أو يشكره على كثرة ما أولى وأنعم . ومن ذلك انّ أباه أرسل إليه فرسا أصيداً ، فكتب إليه المعتمد :

نوال جزيل ، يُبهر الشكر والحمدا وصنع جميل ، يوجب النصح والودّا
لقد جدت بالعِلقِ الذى لو أباعُه بذلت ، ولم أُغبن به العيشة الرغدا
جواد أتانى من جواد تطابقا فيا كرم المُهدِى ، ويا كرم المهدَى
وكم من يد أوليت موقعها ندٍ لدى ، ولكن أين موضع ذا الأصدا
لعلّىَ يوما أن أوفّى حقّه فأنعلهَ ممن عصى أمرك الحدا

فاذا ما غضب الوالد على الأمير ، وجد هذا من شعره وسيلة يستلّ بها هذا الغضب . ولعلّ أكبر قصيدة فى الديوان تلك التى بعث بها إليه ، وقد خرج من مالقة منهزما أمام باديس ، وقد تصرّف فى هذه القصيدة تصرّفا بارعا ، فبدأها بالحديث إلى نفسه . يطلب منها أن تهدأ ، وتستقرّ ، إذ لا فائدة فى البكاء ، ولا خير يرجى من الحزن والألم ، ما دام القدر قد عاق عن بلوغ الأمل ، فيقول :

سكّن فؤادك ، لاتذهب بك الفِكَر ماذا يعيد عليك البثّ والحذر ؟ !

ثم ينتقل انتقالا طبيعيّا ، إلى مدح والده مدحا رائعا قويا ، بدأه بقوله :

سميذع ، يهب الآلاف مبتدئا ويستقل عطاياه ، ويعتذر

ويمزج المدح بالاعتذار إليه ، طالبـاً منه أن يبقى عليه ولا يُوهنه ، فهو العدّة فى حوادث الدّهر ، وهو النّاب والظّفر وقت الشدّة . ويظهر ممّـا وصف به المعتمد نفسه معتذرا إلى والده حين يقول :

فالنّفس جازعة ، والعين دامعـة ... والصّوت منخفض ، والطّرف منكسر
وحلت لو نا وما بالجسم من سقم ... وشبت رأسا ، ولم يبلغنى الكـبر
وذُبت إلّا ذَمَاءً فىّ يمسـكه ... أنّى عهـدتك تعفـو حين تقتـدر

أنّ وقع الهزيمة كان شديدا على نفس أبيه ، ونكاد نلمح أنّ والد المعتضد قد أرجع سبب الهزيمة إلى انصراف ولده المعتمد إلى اللّهو والغناء ، والخمر والنّساء ومن أجل هذا بذل المعتمد جهدا كبيرا فى أن يبرئ نفسه منها ، منحيا على قوم ذوى دغل ، لعلّهم هم الذين نقلوا إلى أبيه ، أمورا لا ترضيه ، فقال المعتمد يتنصّل :

لم أوت من زمـنى شيئـا ألذ به ... فلست أعهد ، ما كاس ، ولا وترُ
ولا تمـلّكنى دلٌّ ، ولا خفرٌ ... ولاسبى خلدى غنج ، ولا حور
ما ترك الخمر من زُهد ولا ورع ... فـلم يفارق لعمرى سنّى الصّغر
وإنّمـا أنا ساع فى رضـاك ، فإن ... أخفقت فيه فلا يفسح لى العمر

* * *

وبرغم شهرة شعراء الأندلس بوصف الطّبيعة ، وغرام المعتمد بها ، لم نجد له كثيرا من الشّعر فيها ، الّا حديثا عرضياً عن البدر الذى كان يساهره ، وهو

هانىء بشرب الرّاح ، أو الشمعة التى سهرت معه كذلك وهو يشرب الخمر أيضا ، وقد رأى فى نورها وذهبها ممثلا لجمال ساقيه ، ونار غرامه ، إذ يقول :

ساهرتها ، والكاس يسعى بها من ريقه أشهى من الكاس
ضياؤها — لا شك — من وجهه وحرّها من حرّ أنفاسى

ويقف ابن عبّاد فى وصفه للخمر ، عند حدّ ما تراه العين ، غير متجاوز ذلك إلى الحديث عن وصف أثرها فى نفسه كما ترى ذلك فى قوله :

لو زرتنا لرأيت ما لم تعهد ذوبَ الجين خليط ذوب العسجد

ولعل المعتمد قد شغله الجمال النّاطق ممثلا فى المرأة ، عن الجمال الصّامت ممثلا فى الطّبيعة .

ولقد وصف المجن عندما طلب اليه أبوه وصفه ، وكان قوىّ الخيال عندما ربط بين منظر المجنّ ، وقد أصبح يحكى السّماء بما رُسم عليه من نجوم ، وبين بُعد أن تناله طوال الرّماح ، إذ قال :

مجنّ حكى صانعوه السّماء لِتَقصر عنه طوال الرّماح

∴

وله قصيدتان تهكّميتان ، بلغ فيهما مبلغا كبيرا من الإتقان والإجادة ، أمّا أولاهما فتلك التى ردّ بها على ابن عمّار ، عندما طمع فى أن يستأثر ببلنسية ، فقال ابن عمّار

فى ذلك شعرا يشيد فيه بمجده ومجد أسرته ، ولم يكن ابن عمّار من أسرة رفيعة الذرى ، بل كان خامل البيت . كما يقول المؤرخون . فما هو إلّا أن قال :

كيف التفلّت بالخديعة من يدَى رجل الحقيقة ، من بنى عمّار

حتّى أنشد المعتمد قصيدة يعرّض فيها بابن عمّار وآبائه ، ويذكر نشأتهم ومنبتهم ، ويسخر من فخره بهم ، فى أسلوب تهكّمىّ لاذع . بدأه بقوله يكمل قصيدة ابن عمّار :

الأكثرين مسوّدا ومملّكا ومتوّجا فى سالف الأعصار

والثانية بعث بها إلى ابنه الرّاضى . عندما أرسل إليه يأمره بالخروج لمحاربة عدوّ هاجم " لُورقة " ، فأظهر الرّاضى تمارضا ، وانصرافا إلى القراءة ، فكتب إليه قصيدة تهكّميّة بدأها بقوله :

الملك فى طى الدفاتر فتخلّ عن قَوْدِ العساكر

∴

وللمعتمد فخر بنفسه وبأسرته ، فى ثنايا قصائد غزله ، ورسائله إلى أبيه ، ولم ينشئ قصيدة للفخر قصدا ، إلّا تلك التى أوحى إليه بها فتحه قرطبة ، وإلا أخرى يفتخر فيها بالجودَ ، وإلّا ثالثةً أنشأها فى الأسر وسوف نعرض لها .

ولم يَرْثِ غير بنيه الذين قتلوا ، وهم يدافعون عن مدنهم ، وهو حين يرثى يندفع حينا وراء حزنه ، حتّى ليرى من الغدر ألّا يفيض جفنه عليهم ، ويرى نفسه أحق بالبكاء ، من تلك القُمْرية التى أثارها فقد إلفها :

فما لى لا أبكى ؟! أم القلب صخرةٌ وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر
بكت واحدا ، لم يشجها غيرُ فقده وأبكى لآلاف عديدهـــم كـثر
غَدَرت إذًا ـ إن ضنّ جفنى بقطره وإن لؤمت نفسى فصاحبها الصّبر

وحينا تتغلّب العاطفة الدّينيّة لديه ، فيخفّف ذلك من وقع المصاب عليه :

مخفف عن فؤادى أنّ ثكلكما مثقّـــل لىَ يـــوم الحشر ميزانا

أمّا عندما كان فى الأسر ، فإنّه وجد فى رثاء بنيه وبكائهم متنفّسا عن آلامه ووجد فى الجزع عليهم تعبيرا عن يأسه وتبـديد أحلامه . ولا ريب أنّ حاله فى الأسر ـ هو الّذى أوحى إليه بهذا البيت الباكى :

يقولون : صبرا ، لاسبيل إلى الصّبر سأبكى ، وأبكى ، ما تطاول من عمرى

وهو فى هذه القصيدة يرى الطّبيعة تشاركه فى الحزن ، فالبدر والنّجوم الزّهر فى مأتم كلّ ليلة ، والغمام يبكى مشاركة له فى مصـابه ، والمعتمد يناجى ولديه ، محدثا لهما عمّـا خلّفه بُعـدُهما فى القلوب ، من جُروح ونُدوب ، وما استحال إليه مجده بَعدَهما ، من تبـدّد وانهيار ، حتّى إنّهما لو عادا لآثرا الموت على أن يرياه مقيّدا مأسورا :

فلو عدتما ، لاخترتما العود فى الثّرى إذا أنتمـا أبصرتُمـانى فى الأسر

* * *

أمّا شعره فى الأسر فكان سلواه ، يشكو له بثّه ، ويندب إليه حظّه ، ويحدّثه بآلامه ، ويبكى به مصيره ومصير ملكه .

وقد دافع المعتمد عن عرشه ، وخرج بسيفه يذود عن حماه ، ولم يستمع إلى رأى ناصحيه الذين أشاروا عليه بأن يتخذ خضوعه للغيرين سياسة ينتهجها ، عساهم يبقونه على العرش فأبى ، ورأى استلاب عرشه ، أفضل من النزول عن شرفه

قالوا : الخضوع سياسةٌ فليبد منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضو ع على فمى السّمّ النقيع
إن يسلب القوم العدا مُلكى ، وتُسلِمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرفَ الطبا ع ، أيُسلب الشرفُ الرفيع ؟!

واستقبل المعتمد أسره ، لا بالثورة والتهديد والوعيد ، ولكن بالبكاء والنحيب ؛ فلم نر فى شعره حديثا عن أنصار سيثورون ، وإنما رأينا استسلاما لآسريه ، وبكاء على ماضيه . خرج به يوسف بن تاشفين إلى العدوة بعد أن خلعه ، فوصل إلى موضع منها ، وأهل البلد خارجون للاستسقاء فقال :

خرجوا ، ليستسقوا ، فقلت لهم: دمعى ينوب لكم عن الأنواء
قالوا : حقيق ، فى دموعك مقنع لكنها ممزوجة بدماء

ولم نره طول مدة مقامه فى الأسر متوعدا ولا ثائرا ، بل يائسا مستسلما لم يمتر به أمل العودة إلى سابق مجده إلا مرورا عابرا ، كما يمتر به فى حلم إذ يقول :

فيا ليت شعرى ، هل أبيتنّ ليلة أمامى وخلفى روضة وغدير
تُراه عسيرا ، أم يسيرا منا له ألا كلّ ما شاء الإله يسير

ولم نحسّ بروح الثورة فى شعر المعتمد وهو أسير إلّا عندما بلغه نبأ ثورة ابنه عبد الجبّار، فهنا يذكر المعتمد السّيف الّذى طال رقاده فى جفنه ، والرّمح الّذى عطش إلى شرب الدّماء ، والجوادَ وقد حيل بينه وبين ارتقاب غرّة فى العدو فينادى قائلا :

ألا شرفٌ يرحم المشرفى ... مما به من شمات الوتين
ألا كرم يُنعش السّمهرىّ ... ويشفيه من كلّ داء دفين
ألا حنّة لابن محنيّة ... شديدِ الحنين ضعيف الأنين

بل إنّ ذكرى مجده ومجد آبائه الغابر ، فى القصيدة الفخريّة الّتى أنشأها فى الأسر، لم تكن لتثير فيه الطّموح إلى إعادة هذا المجد ، بل يسلّى نفسه فيها بقوله :

وإذا ما اجتمع الدّين لنا ... فحقير ما من الدّنيا افترق

فالسّائد فى شعره روح الاستسلام ، لجور الدّهر وظلم الأيّام . يوصّى نفسه بالصّبر ، ويدعوها إلى تحمّل الكُرَب ، ويوطّنها على الكره ، عسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، فيقول :

اقنع بحظّك فى دنياك ما كانا ... وعزّ نفسك ، إن فارقت أوطانا
فى الله من كلّ مفقود مضى عوضٌ ... فأشعر القلب سلوانا وإيمانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد ... بزّته سود خطوب الدّهر سلطانا
وطّن على الكره وارقب إثره فرجا ... واستغنم الله تغنم منه غفرانا

كان هذا الأسر القاسى ، وما عومل به من إذلال فيه والموازنة بين حاضره وماضيه مدعاة لإثارة شجونه وإدماء عيونه . وها هو ذا يصف لنا عيدا حزينا

أقبل عليه فى منفاه، وقد دخلت عليه بناته، يلبسن ثيابا أخلاقا، وفى أيديهن المغزل، يغزلن به للناس. حتى لمن كان لهن بالأمس خادما، فثارت فى خاطره أطياف السعادة الماضية، فتمزق قلبه، وقال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ... فساءك العيد فى أغمات مأسورا
ترى بناتك فى الأطمار جائعة ... يغزلن للناس. ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة ... أبصارهن. حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين. والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا ... فردك الدهر منهيا ومأمورا

وكثيرا ما كان يتذكر قصوره بالأنداس، فيحن إليها، ويحس كأنها تبكى أيامه الزاهرة، ولياليه المتلألئة، ويشعر على البعد بما ارتدته من الذل والوحشة بعده.

ومما ضاعف أساه، هذا القيد الذى غلت به قدماه، وشعره ملىء بالحسرة التى تمزق قلبه لهذا القيد الثقيل، الذى يراه يتلوى كالحية الرقطاء، ذا أيد وبطش كالأسد. ومن أروع شعره فى ذلك حديثه إلى القيد، وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع له:

قيدى، أما تعدنى مسلما ؟! ... أبيت أن تشفق. أو ترحما
دمى شراب لك، واللحم قد ... أكلته، لا تهشم الأعظما
يبصرنى فيك أبو هاشم ... فينثنى القلب، وقد هشما
ارحم طفيلا، طائشا لبه ... لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله ... جرعتهن السم والعلقما

ولم يكن هناك بصيص من أمل فى النجاة والحرية ينفذ إلى قلبه. وكان الهم يحطمه، والأسى يرهنه، واليأس يعصر قلبه، فكان يشعر بدنو أجله، بل كان

يخيّل هذا اليوم قد حلّ، ولعله كان يراه حدّا لآلامه وأحزانه، فرثى نفسه بأبيات أوصى أن تكتب على قبره ، لم يُشر فيها لأسره ، وكأنه بذلك يريد أن يمحو من ذاكرة التاريخ ما بلاه من الأسر والشقاء ، حيث يقول :

قبر الغريب ، سقاك الرائح الغادى ... حقّا ظفرت بأشلاء ابن عبّاد

بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت ... بالخصب إن أجدبوا بالرّىّ للصادى
نعم هو الحقّ ، وافانى به قدر ... من السّماء . فوافانى لميعاد
ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه ... أنّ الجبال تهادى فوق أطواد
فلا تزل صلوات الله دائمة ... على دفينك لا تحصى بتعداد

* * *

وقبل أن نختم هذا الفصل ، نشير إلى صلة المعتمد بالشعراء فى منفاه، فقد استقبله فى طنجة الحصرىّ الشاعر، وأقبل يلحّ عليه فى العطاء ، ورفع إليه شعرا ، فبعث اليه المعتمد بأكثر ما كان معه من مال قليل ، واعتذر اليه بقطعة من الشعر . فأخذ الحصرىّ ما أرسل اليه ، ومضى مستقلا للعطاء . ولما سمع الشعراء بعطاء المعتمد ، أقبلوا عليه يسألونه فعجب من أمرهم وقال :

سألوا العسير من الأسير ، وإنّه ... بسؤالهم لأحقّ منهم ، فاعجب
لولا الحياء وعزّة نخيّة ... طىّ الحشا ، لحكاهمو فى المطلب

ووفى له ثلاثة من شعرائه كما رأينا ، هم أبو بكر الدانى ، وابن حمديس ، وابن عبد الصمد . وأبى كرم المعتمد إلّا أن يرسل إلى أولهم بالقنديل الذى كان يملكه ، فأبى الدّانى أن يأخذ على وفائه أجرا . أمّا الثانى فقد أقبل يريد زيارته ، فصرفه بعض الخدم ، فأرسل المعتمد اليه قصيدة يعتذر فيها ، ولعلّه كان يرجو أن يرى

فى شاعره صورة من مجده الغابر ، وأثرا من آثار عظمته وسلطانه . وأما ابن عبد الصمد ، فانّه مضى إلى قبر المعتمد بعد صلاة العيد ، مع ملأ من النّاس ، يتوجّعون له ، ويترحّمون عليه ، ثمّ أنشد قصيدة طويلة ، أوّلها :

ملك الملـوك ، أسامع ، فأنادى ... أم قد عدتك عن السّماع عوادى
لمـا خلت منك القصور ، فلم تكن ... فيها ، كما قد كنت فى الأعياد
أقبلت فى هذا الثّرى لك خاضعا ... وتخـذت قبرك موضع الإنشاد

وخرّ يبكى ويعفر وجهه فى تراب قبره . فأبكى من كان معه جميعا .

(٤)

أهمّ ما يتّصف به شعر المعتمد ، الوضوح الذى يدلّ على وضوح التجربة لدى الشاعر ، فلا تعثر فى شعره على غموض ولا التواء . وممّا ساعد على هذا الوضوح الوحدة فى شعره . فكلّ مقطوعة أو قصيدة تحدّث عن خاطر مرّ بنفس المعتمد ، وتتضافر الأبيات فى إيضاح هذا الخاطر ، وتسير فى اتساق ونظام .

وكثير من شعره فى عهد الإمارة والملك ، مقطوعات ، تدلّ على انفعـال يكفى هذا القدر فى تصويره ، مع قدرة المعتمد على الإطالة إذا أراد .

أما موسيقاه فمناسبة لهـذه الانفعالات ، ولذا ترى أكثر أوزان الغزل مُطْرِبة سارّة سريعة ، كقوله :

يابديع الحسن والإحـــــسان ، يابدر الدياجى
ياغزالا ، صـاد منى ... بالطّلى ليث الهيـاج
قد غنينا بسنا وجـــــــهك عن ضوء السّراج

وترى شعره فى الأمر يلتزم البحور الطّويلة ، التى تدلّ على التأمّل والأناة ،

لا على الثورة والجموح . وليس فى شعره فى هذا العهد موسيقى تشعر بالسرعة ، إلّا قطعته التى قالها إثر ثورة ابنه عبد الجبّار : فهى من المتقارب السّريع الحركة ، لأنّها تعبّر عن انفعال سريع . وحركة تضطرم فى صدره ، كما اختار البحور الطويلة كذلك فى رثائه .

وتشبيهات المعتمد مألوفة ، ولكن يزيّنها مايضفيه على الشّعر من تناسب كقوله :

ياهلالا ، إذا بدا لى تجلّت عن فؤادى دجُنّة الكربات

فأنت ترى التناسب بين الهلال والدّجنّة . وحينا يفصّل التّشبيه فى الغزل زيادة فى بعث اللّذّة بتصوير من يحب حين يقول :

ياهلالا حسن خد ، يارشا غنج لحظ ، ياقضيبا لين قَد

ولا يتّخذ المعتمد الغزل مقدّمة لقصائد مدحه لأبيه ، كما كان يفعل الشّعراء السّابقون .

ويميل المعتمد إلى الجمال الطّبيعىّ فى شعره ، فقلّ أن يلجأ إلى الصّناعة . وإن كنت لا تعدم أن ترى هنا جناسا ، وهناك طباقا ، وهنالك لفّا ونشرا وغيرها ، ولكنّه مع ذلك يحسن الصّوغ ، فلا تحسّ بنبوّ ولا قلق ، وإن كنت لا أنكر أثر الكلفة فى قوله ، يدعو بعض ندمائه إلى الشّراب :

أيّها الصّاحب الّذى فارقت عينى ونفسى منه السّنا والسّناء
نحن فى المجلس الذى يهب الرّاحة والمسمع : الغنى والغناء
نتعاطى التى تنسّى من اللّذّة والرّقّة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ، ومحيّا قد أعدّالك الحيا ، والحياء

وزادت الصّناعة من جمال قوله ، يتحدّث عن قمريّة تنوح :

وناحت وباحت واستراحت بسرّها وما نطقت حرفا يبـــوح به سرّ

ولم تغضّ الصناعة من جمـال مقطوعته الغزليّة التّى جعل فى أوّل كل بيت منها حرفا من حروف زوجه اعتماد .

والمعتمد دقيق ذو ذوق مرهف فى اختيـار ألفاظه التى توحى إلى القارئ بخاطره ، وخذ مثلا لذلك كلمة الأوار . الّتى توحى إليك بلهيب النّار ، وقد دلّ بها على نيران المعركة . وكلمـــة شخيص المصغّرة . وهى توحى بضآلة جسم ابنـه أبى هاشم وهـذا فى البيتين اللّذين أوردناهمـا فى معركة الزّلاقة . وتأمّل كلمـة مسيحا " فى قوله يسترضى أباه :

سخطك قد زادنى سقاما فابعث إلىّ الرّضا مسيحا

لترى ما توحى به إلى نفسك من مقدرة المسيح عيسى على الإبراء ، وما فى الكلمة نفسها من دلالة على مسح آثار الدّاء . وهو يصف اللّيل بالاعتكار ، ويضيف الوسواس للحلىّ ، ويصف النّفس بالنرجسىّ فى قوله :

فلاقتـــك بالنّفس النرجسىّ وراقتك بالملبس العسجدى

وكلّ ذلك دليل الدقّة فى اختيار الألفاظ .

وقوافى الشّاعر محكمة فى أبياتها ، لا تشعر فيها بقلق ولا اضطراب ، بل هى مستقرّة مطمئنّة ، تشعرك بقدرة الشّاعر على تذليلها .

وبعد فإنّ على شعر المعتمد بن عباد مسحة من الحسن ، تأسر النّفس ، وتملك الحسّ ، لصدق العاطفة التى انبعث عنها ، وجمال الأسلوب الّذى صيغ فيه .

من أقوال مؤرخيه

مما قاله الفتح بن خاقان فى كتابه قلائد العقيان[1]:

"... وكانت حضرته مطمحا للهمم، ومسرحا لآمال الأمم؛ وموقفا لكلّ كمىّ، ومقذفا لذى أنف حمىّ. لم تخل من وَفد. ولم يصح جوّها من انسجام رفد؛ فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة، ومشاهير الحماة، أعدادٌ يغصّ بهم الفضا، وأنجاد يزهى بهم النّفوذ والمضا، وطلع فى سمائه كلُّ نجم متّقد؛ وكلّ ذى فهم منتقد، فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الأذهان، وغاية لرمى هدف البيان، ومضمارا لإحراز خصل، فى كلّ معنى وفصل، فلم يرتسم فى زمانه إلّا بطلٌ نجد، ولم يتّسق فى نظامه إلّا ذكاءٌ ومجد، فأصبح عصره أجمل عصر، وغدا مصره أكمل مصر، تُسفح فيه ديم الكرم، ويُفصح فيه لسانا سيف وقلم، ويفضح الرّضا فى وصفه أيام ذى سلَم..."

ومما قاله ابنُ بسّام فى الذّخيرة[2]:

"وقد كان متمسّكا من الأدب بسبب، وضاربا فى العلم بسهم، وله شعر كما انشقّ الكمام عن الزّهر، لو صدر مثله ممّن جعل الشّعر صناعته، واتّخذه بضاعته، لكان رائعا معجبا، ونادرا مستغربا... يَرمى فيصيب، ويَهمى فيصُوب... والعجب من المعتمد أنه مَرى سحابه فى كلتا حاليه فصاب، ودعا خاطره فأجاب، ولا تراجع له من طبع، [فى الملك] ولا بعد الخلع، بل يومه فى هذا الشأن دهر، وحسنته فى هذا الدّيوان عشر، فان أجاد فما أولى، وإن قصّر فأمره واضح".

---

(1) ص ٤ (2) المخطوطة المغربية (٢ : ١٠) .

ومما قاله المراكشي في المعجب[1] :

"وكان المعتمد هذا يُشبّه بهارون الواثق بالله ، من ملوك بني العبّاس : ذكاء نفس ، وغزارة أدب . وكان شعره كأنّه الحلل المنشّرة . واجتمع له من الشّعراء وأهل الأدب ، ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس . وكان مقتصرا من العلوم على علم الأدب وما يتعلّق به وينضم إليه وكان فيه مع هـذا من الفضائل الذّاتية ما لا يحصى : كالشجاعة والسّخاء والحيـاء والنّزاهة ، إلى ما يناسب هذه الأخلاق الشّريفة . وفي الجملة فلا أعلم خصلة تحمد في رجل إلّا وقد وهبه الله منها أوفر قسم ، وضُرب له فيها بأوفى سهم . وإذا عدّت حسنات الأندلس من لدن فتحها إلى هذا الوقت فالمعتمد هذا أحدها بل أكبرها" .

ومما قاله ابنُ خلّكان في كتاب وفيات الأعيان[2]:

"قال أبو الحسن عليّ بن القطّاع السّعدي في كتاب "نفح الملح" في حقّ المعتمد: إنه أندى ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، وأعظمهم ثمـادا ، وأرفعهم عمادا ، ولذا كانت حضرته مَلقى الرحال وموسم الشـعراء ، وقبلة الآمال ومألف الفضلاء ، حتّى إنه لم يجتمع ببـاب أحد من ملوك عصره من أعيان الشّعراء ، وأفاضل الأدباء ، ما كان يجتمع ببابه ، وتشتمل عليه حاشيتا جنابه" .

ومما قاله لسان الدين بن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام[3]:

"كنيته أبو القاسم ، وهو الجواد الشّجاع البليغ ، ذو الأخبار الشّهيرة الذّكر ، والأنبـاء المأثورة في الدّهر ، قال ابن الصّيرفيّ : "المعتمد على الله محمد بن عبّاد

---

(1) ص ٧١

(2) جـ ٢ ص ٤١٢

(3) ٢ : ١٨٣

نسيجُ وحده فى الجود ، وأصلبُ نظرائه مكسِرَ عود ، فذّا فى البلاغة ، طرفا فى الشّعر والكتابة ، بارع النّظم والنّثر ، كثير الأدب ، جزل الألفاظ ، كثير المعانى ، حسن المآخذ ، لدنَ معاطف الكلام ، رقيق الحاشية ، كثيف المتن ، كثير البديع ، رائق الديباجة ، لائق الاستعارة ، حسن الإشارة ، جمّ التّوليد ، لم يُنشده من الوزراء والشّعراء أشعرُ منه ، على كثرة ما اجتاب إليه ، من أعلاق الثّناء ، ونثر عليه من درّ الحمد ، ووضع فى يديه من حرّ القريض" .

ومما قاله صاحب قلادة النحر[1] :

"كان المعتمد ملكا جليلا ، وعالما ذكيا ، وشاعرا محسنا ، وبطلا شجاعا ، وجوادا ممدّحا ، كان بابه محطّ الرّحال ، وكعبة الآمال" .

---

(1) القسم الثانى من الجزء الثانى المصور بدار الكتب ص ٦٣٣

ديوانه

لم يدوّن المعتمد شعره فى ديوان . ولم يجمعه أحد ممّن جاء بعده ، و إنما كان شعرُه متفرّقا منثورا فى صحائف التّاريخ وكتب الأدب . ماخلا مجموعا صغيرا ملحقا بديوان ابن زيدون، لا يجمع إلّا القليل اليسير من شعره .

وكما أنّ شعره لم يُجمع من قبل فى سفر واحد . كذلك لم يقم أحد بتحقيقه . وتلك كانت مهمتنا : فجمعنا ما استطعنا جمعه من شعره ، وحقّقناه تحقيقا فنّيا ، وأرّخنا بعض قصائده . بربطها بحوادث التّاريخ ، فمهّدنا بذلك سبيل البحث للأديب ، عند ما يريد دراسة فنّ الشّاعر . ومؤرّخ التّاريخ الإسلامىّ ، حين يستشهد بالشّعر على أحداث التّاريخ .

وقد استقينا هذا الدّيوان من الأصول الأساسيّة الآتية :

(١) أعمال الأعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام ، من ملوك الإسلام، (للسان الدين بن الخطيب) الجزء الثالث الذى نشره ليفى بروفنسال (الرّباط سنة ١٩٣٤)

(٢) بدائع البدائه لابن ظافر (ط مصر سنة ١٢٧٨ هـ)

(٣) البيان المغرب لابن عذارى . نشره ل . بروفنسال سنة ١٩٣٠ الجزء الثالث .

(٤) تاريخ أبى الفداء (ط باريس سنة ١٩٣٠)

(٥) تاريخ ابن الوردى (طبع مصر سنة ١٢٨٥ هـ)

(٦) تاريخ بنى عبّاد . (Historia Abbadidarum.)

وهو مجموع ما كتبه الفتح بن خاقان فى المطمح والقلائد ، وابن بشكوال فى الصّلة، وابن بسّام فى الذخيرة ، والعماد فى خريدة القصر . الخ جمعه دوزى (ط سنة ١٨٤٦) .

(٧) تزيين قلائد العقيان: شرح لمحمد بن قاسم بن زاكور، على قلائد العقيان. نسخة خطية ، بالمكتبة التيمورية رقم ٣١٣ تاريخ .

(٨) الحلل الموشية لابن الخطيب (ط تونس) .

(٩) الحلة السيراء لابن الأبار نقلا عن دوزى فى كتاب (تاريخ بنى عباد) .

(١٠) خريدة القصر للعماد الأصفهانى . المجلّد الحادى عشر . من مصوّرة بدار الكتب ٤٢٥٥ أدب ، منقولة عن باريس .

(١١) ديوان ابن زيدون : نسختان خطيتان بدار الكتب احداهما رقم ٤٩٦ أدب والثانية رقم ٥٥٥ أدب .

(١٢) ديوان ابن حمديس (ط روما) ١٨٩٧

(١٣) الذخيرة ، فى محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسّام :

الجزء الثّانى من نسختين خطّيتين بالقلم المغربى بدار الكتب ، إحداهما رقم ٢٢٦٧ ورمزنا اليها برقم ا .

والثّانية رقم ٣٧٦٢ ورمزنا اليها برقم ب .

(١٤) رايات المبرزين ، لعلى بن موسى الشهير بابن سعيد . تيمور، خط ٢٥٣٣

(١٥) روض القرطاس ، لأبى الحسن علىّ بن أبى زرع طبع أو بساله سنة ١٨٤٣

(١٦) شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى — الجزء الثالث . (ط مصر سنة ١٣٥٠) .

(١٧) عقد الاجياد فى الصافنات الجياد ، لعبد القادر الجزائرى (طبع سنة ١٩٢٣) .

(١٨) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم لصلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدى . المتوفى سنة ٧٦٤ (ط مصر) .

(١٩) قلائد العقيان للفتح بن خاقان — (ط بولاق سنة ١٢٨٣) .

(٢٠) قلادة النحر لأبى محمد محمد الطّيب بن عبد الله ، من علماء القرن العاشر الهجرى .

نسخة مصوّرة بدار الكتب رقم ١٦٧ تاريخ .

(٢١) الكامل لابن الأثير — الجزء العاشر . (ط ليدن سنة ١٨٥٣)٠

(٢٢) مجموع من شعر المعتضد بن عباد وابنه المعتمد ملحق بديوان ابن زيدون رقم ٤٩٦ — أدب بدار الكتب .

وهو مخطوط ، يبدأ شعر المعتمد فيه من صفحة ١٩٤ إلى صفحة ٢٢٠ ورمزنا اليه بالمجموع ؛

(٢٣) مجموع من شعر المعتمد والمعتضد ملحق بديوان ابن زيدون رقم ٥٥٥ أدب بدار الكتب وهو مخطوط أيضا ورمزنا اليه بالمجموع (ب) .

(٢٤) المرقصات والمطربات لأبن سعيد . (ط مصر سنة ١٢٨٦) .

(٢٥) المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية . نسخة مصوّرة بدار الكتب رقم (ز) ١٠٣١٠ عن نسخة بالمتحف البريطانى .

(٢٦) مطمح الأنفس للفتح به خاقان . صاحب قلائد العقيان (ط القسطنطينية سنة ١٣٠٢) .

(٢٧) المعجب للراكشي (ط ليدن سنة ١٨٨١) .

(٢٨) نفح الطيب لسان الدين بن الخطيب (ط مصر سنة ١٢٧٩ وط أوربا).

(٢٩) وفيات الأعيان لابن خلكان (ط مصر)

وثمة كتب أخرى رجعنا إليها فى تحقيق الديوان منها :

الإحاطة فى أخبار غرناطة .

الأعلام للزركلى .

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين لأشباخ ، ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان .

تراجم إسلامية ، للأستاذ محمد عبد الله عنان .

الحلل السندسية ، لشكيب أرسلان .

دواوين بعض الشعراء .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، لابن أبى أصيبعه .

المغرب لابن سعيد ، مخطوط (دار الكتب تاريخ ١٠٣) .

أسبانية الإسلامية (دوزى) . (Spanish Islam.)

تكملة المعاجم العربية (دوزى) . (Supplément aux Dictionnaires Arabes)

تاريخ الأدب العربى (نيكلسون A. Literary History of the Arabs.

القسم الأول

عهد الإمارة والملك

(١)

غَزَلٌ وَخَمْرٌ

قافيَــةُ الألف

قال المعتمد[1] على الله محمّد بن عبّاد[2] :

الصُّبح قد مزّق ثوبَ الدجى ... فمزّق الهمَّ بكفّ مَهَا

خُذ باسمِها[3] من ريقها[4] [قهوةً][5] ... في لون خدَّيها تُجلّى الأسى

---

(١) لقب ابن عباد بالظافر بحول الله (المعجب ٧٤ ، والبيان المغرب ٣ : ٢٧٣) والمؤيد بالله ، وقد عاصره بعض شعراء ، مثل ابن عمار في قوله

ألا إن بعشا المؤيد ينتو ... ولكن عفوا المؤيد راجع

والداني في قوله

كان المؤيد بستان بساحتها ... يجلى النعيم وفي عليائها فلكا

ثم المعتمد على الله وهو اللقب الذي لزمه وشهر به .

انظر قلائد العقيان ص ٢٤ وتزيين قلائد العقيان ص ١٤

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) .

(٣) في الأصل « بدمها » ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٤) يريد أن الخمر كأنما عصرت من ريقها .

(٥) تكملة لسقط بالأصل يقتضيها الوزن والمعنى . والقهوة : الخمر .

وقال وهو عليل ، وقد زارته سحر جاريته[1] :

سأســـأل رَبّى أن يُديم بى الشَّكوى
فقد قَرَّبَتْ من مَضْجَعى الرَّشَأَ[2] الأَحْوى[3]

إذا عِلَّةٌ كانت لقـــربك عِلَّةٌ
تَمَنَّيتُ أن تَبقى بجسمى وأن تَقـــرى

شكوتُ ، وسِحْرٌ قد أغبَّت زِيارتِى
بخاءت بهـا النُّعمى ، الّتى سُمِّيتْ بَلوى

فيـا علّتى ، دُومى[4] فأنتِ حبيبةٌ
ويارِبَّ سَمِّعْنى من نِدائى والشَّكوى

وأنشد له أبو الوليد الشُّقندى ، فى كتاب ظرف الظرفاء ، وقد مر على كرمة فتعلقت بردائه[5] :

مررْتُ بكَرمـة جَذَبت ردائى فقلت لهـا : عزمت على أذَانى
فقـالت : لِمْ مررتَ ولم تُسلِّمْ وقد رُويت عظامُك من دمائى؟!

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) .

(٢) الرشأ : الغزال إذا تحرك ومشى .

(٣) يقال شفة حوراء : إذا كانت حمراء تضرب إلى السواد .

(٤) فى الأصل « ذوقى » تحريف .

(٥) هذا النص من رايات المبرزين ص ٧

قافية الباء

وقال فى جاريته جوهرة[1] :

جَوهرُ . قـد عذَّبَنِي منك تَمَادى الغَضَبِ
فـزَفْـرتِي فى صَـعَدٍ وَعَـبْرَتِى فى صَـبَبِ
يا كوكب الحُسن الذى أزرَى بزُهر الشُّهُبِ
مَسْكَنُكِ[2] القلبُ فـلا تَرْضَىْ له بالوصَبِ

وقال[3] :

وأَغَنَّ[4] يلعبُ بالحموم كما غَدت أرماحُ قومى بالعُـدَاة لواعِبَا
ذى نَغْمةٍ يَسبى القلوبَ بها[5] رَشا[6] من عند رِضوانٍ أتَانا هارِبَا

وقال[7] :

وربَّ[8] ساقٍ، مُهفْهَفٍ[9]، غَنِجٍ قَام ليَسْقِى . جَاء بالعَجَبِ
أبْدَى[10] لنا من لَطِيف حِكمته فى جَامِد المـاءِ، ذائبَ الذَّهبِ

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

(٢) فى الأصل « سكك » تحريف .

(٣) هذا النص من المجموع أ ص ٢٠٩

(٤) الأغن من الغزلان وغيرها : الذى فى صوته غنة .

(٥) فى الأصل « الها » تحريف .

(٦) فى المجموع ب « الرشا » .

(٧) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) والمطرب ص ١٥ ، وقلائد العقيان ص ٩ ، ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٣) .

(٨) فى القلائد ونفح الطيب " فمه " .

(٩) فى اللسان والقاموس : هفهف الرجل اذا مشى بدنه فصار كأنه غصن بيد ملاحة ، ويقال جارية مهفهفة ومهفهفة : إذا كانت ضامرة البطن دقيقة الخصر .

(١٠) فى نفح الطيب والقلائد « أهدى » .

قافية التاء

وقال من أبيات فى فتاة وَدَّعها[1] :

ولمّا التقينا للوَداع غُدَيَّةً ... وقد خَفَقَتْ فى ساحة القصر راياتُ

وقُرِّبَتِ الجردُ العتاقُ ، وصُفِّفَتْ ... طُبولٌ ، ولاحت للفراق علاماتُ

بكينا دمًا . حتى كأن عُيونَنَا ... بجرى[2] الدّموع الحمر منها جِراحَاتُ

وكنّا نُرجّى الأوب بعد ثلاثة ... فكيفَ وقد طالت عليها زياداتُ

وقال[3] :

يا هلالًا ، إذا بَدا لى تجلّت ... عن فؤادى دُجُنّةُ الكُرُبات

وغزالًا لمقلتيه بقلبى ... فَتَكاتٌ كأنّها فتكاتى

تِهتَ إذ حُزتَ بالوصال وبالهجـ ... ـجر حياتى تَمَلُّكًا ومَماتى

فترفّق بمدنَفٍ ، أنت منه ... فى سواد القُلوب والحدَقات

أنا أخشى عليك يا ساكنَ القلـ ... ـب المعنّى بالصدّ ، من تَفَراتى

---

(١) هذا النص من المطرب ص ١٥ ، وقلائد العقيان ص ٩ ، ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٣) وخريدة القصر (١١ : ١٤٩) ووفيات الأعيان ٢ : ٤٢ والمجموع ١ ص ٢٠٦ وقد انفرد برواية البيت الثانى والأخير .

(٢) فى المطرب والقلائد وابن خلكان « يجرى » وفى النفح « تجرى » وما أثبتنا عن المجموع .

(٣) هذا النص من المجموع ١ ص ٢٠٧

قافيه الجيم

وقال[1] :

يا غُرَّةَ الشمس الّتى ... قَلبى لها أحدُ البرُوجْ
لَولاكِ لم أكُ مُؤْثِرًا ... فَرشَ الحرير على السُّروجْ

وقال[2] :

يا بديعَ الحسن والإحسَـــان ، يا بَدر الدَّيَاجِى
يا غزالًا ، صـاد منى بالطُّلَى[3] ليثَ الهيَـاج
قد غَنِينا بسَنا وجـــهك عن ضَـوء السّراج

قافية الحـاء

وقال يستدعى عودا للغناء[4] :

غَلَبَ الكرَى ، وونَتْ مطايَا الراج ... واشتَقْن شَدو حُداتها النُّصَّاح
فابعَثْ نشاط سَئومها وحَسيرِها[5] ... بغناء حاديهـا أخى الإفصـاح
ليقيمَ ذاك العـودُ من رَسْمِ السُّرى ... ويعودَ فى الأجسـام بالأرواح
فنسـيرَ فى طُرق السّرورِ ، ونهتدى ... بخفيّهن[6] بأنجُـمِ الأقـداح

---

(١) هذا النص من الذخيرة (ا ٢ : ١١ ق ب ٢ : ١٤) والمجموع ا ص ٢٠٣

(٢) هذا النص من المجموع ا ص ٢٠٨

(٣) الطل بالضم : الأعناق .

(٤) هذا النص من جريدة القصر (١١ : ١٥٠)

(٥) حسير البعير : ساقه حتى أعياه .

(٦) الباء هنا بمعنى « فى » .

قافية الدال

وقال[1] :

كتبتُ وعندى من فراقك ما عندى ... وفى كبدى[2] مافيه من لَوعة الوجْد
وما خَطَّتِ الأقلامُ إلا وأدمعى ... تَخطُّ سُطور الشَّوق فى صَفْحة الخدّ
ولولا طِلابُ المجد زرتُك طيَّبه ... عميدٌ[3] ، كما زار النَّدى ورق الوَرْد
فقبَّلتُ ما تحت اللِّثام من اللَّمَى[4] ... وعانَقتُ ما فوق الوشاح من العقد
أغائبةٌ[5] عنّى وحاضرةٌ معى ... لئن غبتِ عن عينى ، فإنَّك فى كبْدى
أقيمى على العَهد الذى كان بيننَا ... فإنّى على ما تعلَمين من العهد

وقال[6] :

حرَّم النَّومَ علينا ورقَّد ... وابتلانا بهواهُ ثُمَّ صَدّ
ياهلالاً حُسْنَ خدٌّ ، يارشَا ... غُنْجَ لحظٍ ، ياقضيباً لِينَ قد
بودادى لك ، بالشوق الذى ... فى فؤادى ، لا تَدَعنى للكمَد
لست أرضى عن زمانِى أوأرى ... منك حُسنًا لا أراهُ من أحد

---

(١) هذا النص من تتمة القصر (١١ : ١٤٦) والمجموع ١ ص ١٩٧ وروايات البرزين ص ٧

(٢) فى المجموع ١ « فى خلدى » وفى روايات البرزين « وشوق كن قد بان عن جنة الخلد » .

(٣) يقال عميد ومعمد كمعظم : لمن هده الشوق .

(٤) اللمى : سمرة فى الشفة .

(٥) هذا البيت وتاليه وردا فى المجموعين ١ ، ب .

(٦) هذا النص من تتمة القصر (١١ : ١٤٨) .

وقال من أبيات[١] :

قلت : متى ترحمُنى ؟ قال : ولا طولَ الأبَدْ
قلتُ : فقد أيأستنى من الحياة ، قال : قَدْ

وقال[٢] :

لاحَ ، وفاحَتْ روائحُ النَّدّ[٣] مُهنصَرُ[٤] الخَصْرِ ، أهيفُ القَدّ
وكم سقانى ، واللّيلُ معتكرٌ ، فى جامد الماء ذائبَ الورْد

وقال[٥] :

أباحَ لِطيفى طيفُها الخدَّ والنَّهدَا فعضَّ به تُفاحةً ، واجتنَى وَردَا
وألثَمُنى ثغراً شَمَمْتُ نسيمَه فخُيِّلَ لى أنّى شَمَمْتُ به نَدّا[٦]
ولو قدَرتْ زارت على حال يقظةٍ ولكنْ حجابُ البين ما بيننا مُدّا
أمَا وجدتْ عنّا الشُّجونُ[٧] معرَّجا[٨] ولا وجدت منا خُطوبُ النّوى بُدّا
سقى الله صوب القطر أمَّ عُبيدة كما قد سَقَتْ قلبى على حرّه بَرداً
هى الظّبى جيداً ، والغزالةُ مقلةً وروض الرُّبا عَرفاً[٩] ، وغُصن النَّقا قَدّا

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

(٢) هذا النص من المصدر نفسه (١١ : ١٤٩) والمطرب ص ١٥

(٣) الند بفتح النون وكسرها : ضرب من الطيب يدخن به .

(٤) المهنصر : الجذب والإمالة وعطف شيء رطب كالغصن ونحوه . وفى الأصل « محنصر » تحريف .

(٥) هذا النص من قلائد العقيان ص ١٠ . ونفح الطيب (أوربا ٢ : ٦٢٣) والمجموع ا ص ٢٠٣ والمجموع ب .

(٦) ورد البيت فى موضعه هذا بالمجموع .

(٧) فى المجموع « الشئون » .

(٨) معرجا : تعريجا أى ميلا .

(٩) فى المجموع « فوحا » .

وقال[1] :

وشادنٍ أسألُه قهوةً ... بفاء بالقهوةِ والوردِ
فبتّ أسقَى الراحَ من ريقه ... وأجتنى الوَردَ من الخدّ

وقال فى جاريته سحر[2] :

عفا اللهُ عن سحرٍ على كلّ حالةٍ ... ولا حُوسبتْ عمّا بها[3] أنا واجدُ
أسحرٌ، ظلمت النفسَ واخترت فُرقتى ... بجمّعتِ أحزانى وهُنّ شَوارِدُ
وكانت شُجونى باقترابك نُزّحًا ... فها هنّ، لمّا أن نأيتِ، شواهِدُ

ومنها :

فان تستلذّى بَرْدَ مائك بعدنا ... فبعدَك ما ندرى متَى الماءُ باردُ[4]

وقال فى زوجه "اعتماد"[5] :

أغائبةَ الشّخص عن ناظرى ... وحاضرةً فى صميم الفؤادِ
عليكِ سلامٌ بقدر الشّجو ... ن، ودمع الشُّؤون، وقدر السُّهادِ
تملّكتِ منّى صَعْبَ المرا ... م، وصادَفتِ وُدّى سَهْلَ القيادِ
مُرادىَ لُقيَاك فى كلّ حينٍ ... فيالَيتَ أنّىَ أُعطى مُرادى
أقيمى على العهد ما بيننا[6] ... ولا تَستحيلى لِطُول البِعَادِ
دَسَسْتُ اسمَك الحُلْوَ فى طيّه ... وألّفت فيه حروف "اعتماد"[7]

---

(١) هذا النص من المجموع ا (٢٠٧) .
(٢) هذا النص من الذخيرة (أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) ونسخة دوزى (تاريخ العباديين ص ٦٨) .
(٣) هذه رواية الذخيرة وفى دوزى «ولا حوسبت على بما أنا واجد» .
(٤) هذا البيت ساقط من الذخيرة وما أثبتنا من دوزى ص ٢٩٩
(٥) ورد هذا النص فى المجموع ا (ص ١٩٧) .
(٦) فى الحلة السيراء (فى بيننا) .
(٧) الحروف الأولى للأبيات تكون اسم «اعتماد» .

وقال[1] :

إنى رأيتُـك فى المنـام ضجيعَتِي ... وكأنَّ ساعدَك الوثيرَ وسَـادِى
وكأنَّمـا عانقتنِي ، وشكوت ما ... أشكُوهُ من وجدى وطولِ سُهادى
وكأننى قبّلت ثغرك والطُّلى[2] ... والوجْنتين ، ونلت منك مُرادى
وهواك ، لولا أن طيفَك زائرٌ ... فى الغِبّ لِى ، مَا ذقتُ طعمَ رقاد

وقال[3] :

أَلكُمْ إلى الصَّبِّ الشَّجىّ مَعادُ ... فتُفكَّ عنـهُ للأسى أصْفَـادُ
رحَل اصطبارى إذ رحلتم قافلاً ... أوبُ الأحبَّةِ بيننا الميعـادُ
يامن ثكلتُ دنُوَّهم ووصالَهم ... فَبَدَا علىَّ من الشُّحوب حِدَادُ
كم بتُّ منـكُمُ بين غُصنَىْ بانةٍ ... كالسَّيف تضغطُ متنَه الأغمَـادُ

وقال فى زوجه[4] " اعتماد "[5] :

أدَارَ النَّوى كم طال[6] فيك تَلَدُّدى[7] ... وكم عُقْتنِى[8] عن دَار أهيَفَ أغْيَدِ
حلفتُ به لو قد تَعرَّض دُونَه ... كُمَاةُ الأعادى فى النَّسيج المسَرَّدِ

---

(1) هذا النص من المجموع ا (ص ١٩٨) .

(2) الطلى بالضم : الأعناق .

(3) هذا النص من المجموع ا (ص ١٩٧) .

(4) صدر الفتح مطلع القصيدة فى المطمح ص ١٠ بقوله " وهو القائل وقد حن [إلى أهله] وهو فى طريقه إلى أغرناطة " . ولعل ذلك عندما ذهب إليها فى المرة الأولى يستنجد يوسف بن تاشفين .

(5) هذا النص من المجموع ا ص (٢٠٢) ومطمح الأنفس ص ١٠ . ونفح الطيب (١١٠٩) .

(6) فى المجموع ا « دار » .

(7) فى المطمح « تلذذى » . والتلدد : اللبث والمكث .

(8) فى المجموع « عقنى » وفى النفح والمطمح « عقنى » ولعل الصواب ما أثبتنا .

لجزدتُ للضرب المهنَّـدَ فانقضى مُرادى ، وعزمًا مثلَ حدّ المهنَّد
فما حلّ خلٌّ من فؤادِ خَليله محل "اعتماد" من فـؤاد محمّـد
ولكنها الأقدارُ تُردِي بلا ظُبًا وتُصمِى بلا قَتْلٍ ، وترمى بلا يد

وقال[1] :

يا ظبيـةً لَطُفَتْ منّى منازِلُهـا فالقلبُ منهنَّ والأحداقُ والكبـدُ
حُبّى لك النّاسُ طُرًّا يشهدون به وأنت شَاهِدَتى إن يَثنِهم جَسَدُ
لا يَعزُبُ الوصـلُ فيما بيننا أبدًا لو كنت واجدةً مثـلَ الّذى أجدُ

وقال[2] :

يا ليتَ مدّةَ بُعدِك رشيقةُ مثـلُ قَـدّك
كمُـدّة الورد ، ورد الـــربيـع ، لا ورد خدّك
فَعمرُ ذا عُمْـرُ صَبرى وعُمر ذا عمرُ صَـدّك
رضيتُ منـكَ وإن لم تُنجِـز بـلذّة وَعدك

وقال فى جاريته : وداد[3] :

اشرب الكأسَ فى وِدَاد وِدادِك وتأنَّسْ بذكرهـا فى انفِـرَادِك
قـرٌّ غاب عن جُفـونك مرآ هُ ، وسكنـاهُ فى سَـوادِ فؤادِك

---

(١) هذا النص من المجموع ا ص (٢٠٥) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

(٣) هذا النص من المطرب ص ١٤ ؛ والمجموع أ ص ٢٠١ ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

وقال[١] :

لو زُرتَنَا لرأيتَ ما لم تعهـــد ذوبَ الجَبينِ خلِطَ ذوب العَسجَدِ
نُطفٌ يُجملها فقاقِعُ[٢] منه ما جَمُدتْ لتحفظَ جسم ما لم يجمُـــد

قافية الرّاء

وكتب إلى ابن عمار، عند ما ولّاه[٣] على شِلب[٤] ، ويذكر عهده بها عندما كان هو واليا[٥] عليها من قبل أبيه المعتضد[٦] :

ألا حيِّ أوطـانى بشِلبَ ، أبا بكر وسَلْهُنَّ هل عهدُ الوصال كما أدرى
وسَلِّم على قصر الشَّراجيب عن فتًى له أبدًا شـــوقٌ إلى ذلك القَـــصْرِ
منـازلُ آســادٍ وبيـــضٍ نواعـــمٍ فناهيك من غِيلٍ[٧] وناهيك من خِدْر

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

(٢) فقاقع : جمع فقاعة .

(٣) قال المراكشي في المعجب في حديثه عن ابن عمار "ولاه المعتمد مدينة شلب وأعمالها أول ما أفضى الأمر إليه فدخلها ابن عمار في موكب فخم ..." المعجب ص ٨٠

وقد تولى المعتمد بعد وفاة أبيه في سنة ستين وأربعمائة أو إحدى وستين . انظر البيان المغرب لابن عذارى (٣ : ٢٨٣) .

(٤) شلب بكسر أوله وسكون ثانية وآخره باء موحدة ، قال ياقوت : "مدينة بغرب الأندلس وهي غربي قرطبة... يلغني أنه ليس بالأندلس بعد إشبيلية مثلها ، وسمعت من لا أحصي أنه قال : قل من ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني الأدب" انظر معجم البلدان (٥ : ٢٨٦) .

(٥) وقال المراكشي في المعجب ص ٨١ "... ثم اتفق أن ولى المعتمد على الله شلب من قبل أبيه فاستوزر ابن عمار هذا في تلك الولاية" .

(٦) هذا النص من قلائد العقيان ص ٥ . وضح الطيب (أوروبا ١ : ٤٣٨) والمرقصات والمطربات ص ٦٠ وروايات المبرزين ص ٦ .

(٧) الغيل بالكسر : الأجمة ، منزل الأسد ، وجمعه غيول .

وكم ليلة قد بتُّ أنعمُ جُنحَها[1] بمُحصِبةِ الأردافِ ، مُجدِبةِ الخَصْر
وبيضٍ وسُمرٍ ، فاعلاتٍ بمهجتى فعالَ الصُفاحِ البيضِ والأسَلِ السُمْر
وليلٍ بِسُدِّ[2] النَّهرِ لهواً قطعتُه بذاتِ سوارٍ مثلِ منعطَفِ النَّهْر[3]
نضَتْ بُردها عن غصنِ بانٍ منعَّمٍ نضيرٍ[4]. كما انشقَّ الكِمامُ عن الزَّهرِ
وباتت ، تُسقِّينى المُدامَ بلحظها فمن كأسها حينًا ، وحينا من الثَّغر
وتُطرِبُنى أوتارُها ، وكأنّنى سمعتُ بأوتارِ الظُّلى نغَمَ البُتر[5]

وقال[6] :

دارى ثلاثتَه بلُطفِ ثلاثةٍ فتَنَى بذاك رقيبَه لم يشعر :
أسرارَه بتستُّرٍ ، وأُوارَه بتصَبُّرٍ ، وخبالَه بتوقُّر

وقال[7] :

يا معرضًا عنّى ، ولم أجْنِ ما يُوجب إعراضًا ولا هَجْرَا
قد طال ليلُ الهجر ، فاجعل لنا وصلَك فى آخره فجْرَا

---

(١) جنح الليل بكسر الجيم وضمها : الطائفة منه .

(٢) فى المرقصات وروايات المبرزين « بعطف النهر » .

(٣) فى قلائد العقيان ونفح الطيب « البدر » .

(٤) فى المرقصات وروايات المبرزين « فيا حسن ما » .

(٥) الظلى : الأعناق . والبتر : السيوف ، والمعنى : كأنى سمعت نغم السيوف فى عروق الأعناق .

(٦) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) وفى الأصل "داوى" .

(٧) « « من المصدر نفسه (١١ : ١٤٧) .

وقال[1] :

أكثرتَ هَجْرى ، غير أنّك ربّما ... عطفَتْكَ أحياناً على أمورُ
فكأنّما زَمنُ التهاجُرِ بيننا ... ليلٌ ، وساعاتُ الوصالِ بُدورُ

وقال[2] :

يا صَفوتِى من البَشَرْ ... يا كوكبًا ، بل يا قمرْ
يا غُصناً ، إذا مشَى ... يا رشأً ، إذ نَظَرْ
يانَفَسَ الرّوضةِ قد ... هبّت لها ريحُ سَحَرْ
يا ربّةَ اللّحظ الّذى ... شَدَّ وِثاقًا إذ فَتَرْ
متى أُداوِى ، يا فِدًا ... لِكِ السّمعُ منّى والبصَرْ
ما بفؤادى من جَوىً ... بما بفيك من خَصَرْ[3]

وقال[4] :

حسدتُ كتابى على فَوزه ... بإبصارِهِ الغرّةَ الزّاهرَهْ
فيا ليت شخصِى يكون الكتا ... بَ، فتلحظَهُ المقلةُ الساحِرَهْ

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) والمطرب ص ١٤ . والذخيرة (أ ٢ : ١ ، ب ٢ : ١٣) ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٨٨) وابن خلكان (٢ : ٤٢) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) .

(٣) فى أساس البلاغة : ثغر خصر : بارد المقبل .

(٤) هذا النص من المجموع أ (ص ٢٠٢) .

وكانت له جاريةٌ تسمّى جوهرة كان يحبها ، فكتب إليها يسترضيها فى عتاب جرى بينهما ، فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها ، فقال[1]:

لَمْ تصفُ لى بعدُ ، وإلّا فَلِمْ [لَمْ][2] أَرَ فى عُنوانها جوهَرَهْ
درتْ بأنّى عاشقٌ لاسمها فلم تُرد للغيظ أن تذكُره
قالت : إذا أبصره ثانيًا قبّلَه ، والله لا أبصَرَه

ومشت بين يدى المعتمد جاريةٌ مُسْبَلَةُ الذوائب ، وعليها قميص ، لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها ، فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه ، وقال[3] :

عُلّقتُ[4] جائلةَ الوشاح غريرةً تختالُ بين أسنّةٍ وبَواتِر

وقال لبعض خدمه : سر إلى أبى الوليد البطليوسى (المشهور بالنحلى) وخذه بإجازة هذا البيت ، ولا تفارقه حتى يفرُغ منه ؛ فأجاب النحلىّ ، لأوّل وقوع الرقعة بين يديه :

راقت محاسنُها ، ورَقّ أديمُها فتكاد تُبصرُ باطنًا من ظاهر
وتمايلت كالغُصن فى دعص[5] النقا والتفّ فى ورق الشّباب النّاضر
يندَى بماء الورد مُسْبَلُ شعرها كالطّل يسقط من جناح الطّائر

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

(٢) تكملة لسقط بالأصل يقتضيها الوزن والمعنى .

(٣) هذا النص من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ١٥٧) ومصر (١ : ٨٠) وبدائع البدائه ص ٦١ .

(٤) فى بدائع البدائه « وهويت سالبة النفوس غريرة » .

(٥) ما اجتمع من الرمل .

تُزهَى برونقهـا وعـزّ جمالهـا زَهو المؤيَّد[1] بالثّنـاء العـاطر
ملكٌ تضاءلت الملوك لقدره وعنا له صرفُ الزّمان الجائر
واذا لمحت جبينَـه ويمينـه أبصرت بدرًا فوق بحر زاخر

وقال[2] :

مَشَمُّك أفوحُ فى مَعطِسى ووجهك أملحُ فى ناظرى
ظَفِرتُ بقربِك بعد امتنـاع فمن ذاك سَمّيتُ بالظّـافِر[3]

وأورد أبو الصّلت [4] فى الحديقة من شعر المعتمد قولَه فى جارية وقفت تحجب الشّمس عنه[5] :

قامت لتحجبَ ضوءَ الشمس قامتُها عن ناظرى ، حُجبت عن ناظر الغِيَرِ
علمًا لعمرُك منهـا أنّهـا قمرٌ هل تحجبُ الشّمسَ إلّا صَفحةُ القَمَرِ

---

(١) من ألقاب المعتمد وانظر ما ذكرنا ص (١)

(٢) هذا نص من المجموع (١) ص ٢٠٣

(٣) هو أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى . كان فاضلا فى علوم الآداب ، صنف كتابه الذى سماه بالحديقة على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبى . وكان عارفا بفن الحكمة فكان يقال له الأديب الحكيم ، انتقل من الأندلس وسكن الإسكندرية . ونقل عنه العماد الأصفهانى كثيرا فى خريدة القصر وتوفى فى مستهل سنة تسع وعشرين وخمسمائة بالمهدية على ما رجح ابن خاكان ، وكان ميلاده سنة ستين وأربعمائة . وانظر وفيات الأعيان ١ : ١١٢ ونفح الطيب وشذرات الذهب .

(٤) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٣) وروايات المعرب ص ٦ والذخيرة أ ٢ : ١١ ب ٢ : ١٤ .

(٥) فى روايات المعرب « فرض الشمس ... عن مقلتى حجبت عن أعين الغير » .

وقال[١] :

القلبُ قــد لجّ ، فما يُقصر ... والوجدُ قد جلّ ، فما يُستترُ
والدّمعُ جارٍ . قطــرُه وابلٌ ... والجسمُ بالٍ ، ثوبُه أصفرُ
هذا ، ومن أعشقُه واصلٌ ... كيف به لو أنّه يهجــرُ
لكن[٢] عدتنى نائباتُ النّوى ... فى دَوْحِه والشّادنُ الأحورُ
والكوكبُ الوقّادُ تحت الدُّجَى ... فى أُفقه ، والقمرُ الأزهرُ
والنّرجسُ الفوّاح غِبَّ النّدى ... فى روضه ، والمَندَل[٣] الأذفَرُ[٤]
قد خُبِّرَتْ عنّى أنّى امرؤٌ ... فيــه شحــوبٌ وضنًى يظهــرُ
فأبدتِ الإشفاقَ من حالتى ... ومثلُ ما تُبــديه ما تُضمرُ
واستفهمت إن كنتُ ذا علّةٍ ... أو ذا اشتياق ، نارُه تُسعَرُ
سيّدتى ، لم تنصفى عاشقــا ... أضحى كما أخــبرك المُخــبرُ
إذ قلت : هل من ألَمٍ طائفٍ ... ما بك أو شــوقٍ فما تَصبرُ
ظلمتِ بالشّكّ هوايَ الذى ... يعرفــه الغُيّــبُ والحُضّرُ
والله ما سُقمِىَ إلّا هَوًى ... كلُّ هوًى فى جنبه يَصغرُ
غيّر جســمى فاعلمى أنّنى ... أرومُ لقيــاك ولا أقــدرُ
فاستغفرى الله من الظّلم لِى ... فانّ من يظلمُ يستغفرُ

---

(١) هذا النص من المجموع أ (ص ٢٠٤) .
(٢) يظهر أن الشطر الأول من هذا البيت محذوف عجزه ، والمجزوء آثر حذف صدره .
(٣) المندل : العود أو أجوده .
(٤) يقال مسك أذفر : جيد إلى الغاية .

وقال فى غلام رآه يوم العروبة[1] فى العراك[2] :

ولمّا اقتحمتَ الوغى دارِعًا وقنّعت وجهـك بالمِغفَرِ[3]
حسبنا مُحيّاك شمسَ الضحى عليها[4] سحابٌ من العَنبَرِ

وقال[5] :

تمّ له الحُسن بالعـذارِ واقترن[6] اللّيـلُ بالنّهارِ
أخضَرُ فى أبيضٍ تبدّى ذلك آسِى[7] ؛ وذا بَهارى[8]
فقد حوى مجلسى تمـامه إن يك من ريقه عُقارى

---

(١) فى لسان العرب والقاموس وتاج العروس (عرب) يقال ليوم الجمعة يوم عروبة ويوم العروبة بفتح العين . ويوم العروبة هذا هو اليوم الذى حدثت فيه معركة الزلاقة بالقرب من بطليوس بين جيوش المعتمد بن عباد وأمراء الأندلس والمرابطين وبين الفونس السادس ملك قشتالة وكانت الدائرة فيها على الفونس وجيشه . وقد اختلفت المصادر العربية فى تحديد تاريخ يوم العروبة :

فابن خلكان (٢ : ٤٨٤) على أنها كانت يوم الجمعة ١٥ رجب سنة ٤٧٩ هـ . والحلل الموشية ص ٤ وروض القرطاس ، على أنها كانت يوم الجمعة الثانى عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

وابن الأثير (١٠ : ١٠٦) على أنها كانت يوم الجمعة فى العشر الأول من رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

والمراكشى (فى المعجب ص ٤٠) على أنها كانت يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان سنة ٤٨٠ هـ . وشذرات الذهب (٣ : ٣٦٢) على أنها فى أول جمعة من رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٣) وقلائد العقيان ص ٩ . ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٦) والمجموع أ ص ٩٠ . وروايات المبرزين ص ٦ .

(٣) المغفر كثير : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع به المتسلح .

(٤) هذه رواية المجموع وروايات المبرزين . والرواية فى باقى الأصول « عليه » .

(٥) هذا النص من خطبى الذخيرة (أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) ونفح الطيب مصر (٤ : ٩٠) .

(٦) فى نفح الطيب « واختلط » .

(٧) فى أصل الذخيرة « اسى » تحريف .

(٨) قال أبو الوليد الحميرى فى كتابه « البديع فى وصف الربيع » ص ٩٦ " ويسمى البهار النرجس وأكثر أشعار المشرقيين اسمه فيها النرجس وأما الأندلسيون فاستعملوا الاسمين وذكروا الفنين " .

وقال وقد بعث هـذه الأبيات مع رسـوله إلى أبي بكر الدانى ومعه قطيع[1] مترع من الخمر ، وكأس من بلّار :

جاءتكَ ليـلا فى ثِيابِ[2] نَهار ... من نُورها ، وغِلالة البُـلّارِ[3]
كالمُشترِى[4] قد نفّ من مِرّيخه ... إذ لفّه فى المـاء — جذوةَ[5] نار
لَطُفَ الجمود لذا[6] وذا فتـألفا ... لم يلق صـدٌّ ضدّه بِنِفَار
يحـيّر الرّاءون فى نعتيهما ... أصفاءُ ماءٍ أم صـفاءُ دَرارِى

قافيه السين

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أمّ الربيع واحتجب عن النّدماء ، فكتب إليه ابن عمّار[7] :

تَجَهّمَ وجهُ الأُفق واعتلّت النّفسُ
لأنْ لم تَلُح للعين أنتَ ولا الشّمسُ

---

(١) القطيع : إناء لخمر عند الأندلسيين . والنص من قلائد العقيان ص ٦ . وقنع الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٤) (ومصر ١٨٣٨) والمطرب ١٦ .

(٢) فى المطرب (ثيابا) والعلالة ككتابة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا .

(٣) ليس فى القاموس واللسان « بلار » وإنما فيه بلور كتنور وسنور وسمور . وذكر دوزى فى تكملة المعاجم بلاو بضم الباء وتشديد اللام بعدها ألف بمعنى سور . وذكر أن أهل الجزائر يطلقونها اليوم على الماء . وانظر تكملة المعاجم (٤ : ١١٠) .

(٤) المشترى والمريخ : كوكبان ، أولهما ذو لون أبيض وثانيهما أحمر اللون ، وهو هنا يشبه الخمر فى أنها البلورى بالمريخ وقد أحاط به المشترى كما يحيط الماء بجذوة النار . ووجه الشبه إحاطة شىء أبيض بشىء أحمر .

(٥) جذوة نار مفعول به (لف) .

(٦) الاشارة فى قوله لذا وذا راجعة للظرف والمضروف .

(٧) هذا النص من مدح الطيب (مصر ١١٥٥) .

فإن كان هـذَا منكُما عن تَوافُقٍ وضمّكُما أُنسٌ ، فهنيكُما الأنسُ

فأجابه المعتمد بقوله .

خليليَّ قُولا ، هل عليَّ ملامةٌ إذا لم أغبْ إلاّ لتحضرَني الشّمسُ
وأُهدَى بأكواس المُدام كواعِبًا إذا أبصرَتْها العينُ هشّت لها النّفسُ
سلامٌ ، سلامٌ . أنّما الأُنسُ كلُّه وإن غبتما ، أمُّ الرّبيع هى الأنسُ

قافية الصّاد

وقال فى جاريته جوهرة[1] :

سُرورَنا دُونكُمُ ناقصٌ والطّيبُ لا صافٍ ولا خَالِصُ
والسّـــعد إن طَالَعنَا نجمُه وغبتِ ، فهو الآفلُ النّاكصُ
سمّـــوْك بالجوهَر مظلومـةً مثلُك لا يدركهُ غائصُ

قافية العين

وقال[2] :

سَلى تَعلمى ، إن كنت غيرَ عليمةٍ بأن ليس فى حُبّى لغيرك مطمعُ
وأنّ لىَ القلبَ الّذى ليس خاليًا من الوجد ، والجفنَ الذى لَيس يهجعُ

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨)

(٢) هذا النص من المجموع أ ص ١٩٧ .

يذكّرنيكِ الغصنُ يهتزّ عندما ... يهبّ نسيمٌ ، والغزالةُ تطلعُ
فوالله لا أنفكّ أذكرُ موضعى ... لديك ، ولا أنفكّ نحوَك أنزِعُ

وقال[1] :

تظنّ بنا أمّ الربيع سآمةً ... ألا غفر الرّحمنُ ذنباً تُواقعُه
أأهجرُ ظبيًا فى ضلوعى[2] كناسُه ... وبدرَ تمام فى جُفونى[3] مَطالعه
وروضةَ حسن أجتنيها ، وبارداً ... من الظّلم ، لم تُحظَر علىّ شرائعُه[4]
إذا عِدمتْ[5] كفّى نوالاً تُفيضُه ... على مُعتفيها ، أو عَدوًّا تُقارعه

وقال[6] :

أسَر الهوى نفسى ، فعذّبها ... يومَ الوداع ، فلم تُطق مَنعَا
فأذابَ حرّ صبابتى كَبدى ... وأسالها فى وجنتى دَمعَا

وقال[7] :

وَلَجّ الفؤاد فما عسى أن أصنعَا ... ولقد نُصحتُ ، فلم أُرِدْ أن أسمعَا
أسفى ! أَوُدّ ولا أُوَدّ ، وأغتدى ... وأروحُ ، أحفظُ عهد من قد ضيّعَا

---

(١) هذا النص من نسختى الذخيرة أ ٢ : ١٠ ، ب ٢ : ١٣ ، والمغرب ص ١٤ ، والمجموع أ ص ٢٠٠ وخريدة القصر (١١ : ١٤٧) .
(٢) فى الذخيرة والمغرب والمجموع « فؤادى » .
(٣) هذه رواية الخريدة والمغرب . وفى الذخيرة « فى الضلوع » .
(٤) ورد هذا البيت فى موضعه هذا فى الذخيرة .
(٥) فى الخريدة والذخيرة « هجرت » وفى المجموع « شمت » .
(٦) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .
(٧) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

ما كان ظنّى أن أجودَ بمهجتى حُبًّا ، وأقنَعَ بالسّلام فأُمنَعَا
يا هاجرين ، قد اشتَفَيتُم ، فارفُقوا وهبُوا لعثرة عاشق لكمُ[1] لَعَا[1]
ردُّوا ، بردّكمُ السّلام ، حُشاشَةً لم تَبقَ ، لولا أنّ فيكم مَطمعَا

وناوله بعض نسائه كأسَ بلّور مُترعةً شَرابا ، ولمع البرق ، فارتاعت ، فقال[2] :

ريعَتْ[3] من البرق ، وفى كَفّها برقٌ من القهوة لمّاعُ
ياليتَ[4] شعرى ، وهى شمس الضُّحَا كيفَ من الأنوارِ تَرتاعُ[5]

قافية الفاء

وقال[6] :

أيا نفسُ ، لا تجزعى ، واصبرِى وإلّا فانّ الهوى مُتلِفُ
حبيبٌ جفاكِ ، وقلبُ عصاكِ ولاحٍ[7] لحاك . ولا مُنصِفُ
شجونٌ منَعن الجفونَ الكَرَى وعَوّضنَها أدمعًا تَذرِفُ

---

(١) كلمة دعاء تقال لعاثر .

(٢) النص من المطرب ص ١٢ ، وسحق الدخيرة أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤ ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٧) ونفح الطيب مصر (١١٢٩)

(٣) فى نفح الطيب « روعها » .

(٤) فى نفح الطيب وبدائع البدائه « عجبت منها » .

(٥) ذكر صاحب البدائع أن المعتمد حين صنع هذين البيتين أمر به فصاغ ، فاستدعى عبد الجليل بن وهبون الشاعر وأنشده البيت الأول ، فقال عبد الجليل :

ولم ترى أعجب من آنس من مثل ما يمسك يرتاع

(٦) النص من قلائد العقيان ص ٥ ونفح الطيب مصر (١١٢٨) والمجموع أ ص ٢١٠

(٧) فى اللسان (لحا) لحا الرجل لحوا : شتمه ، ولحاه يلحاه لحيا : لامه وشتمه وعنفه

قافية القاف

وقال[1] :

ثــلاثةٌ منعَتْهـا عن زيارتنـا
خَوفَ الرّقيب ، وخوفَ الحاسد الحَنِقِ:
ضوءُ الجبينِ ، ووَسواسُ الحـليِّ ، ومَا
تحوى مَعاطِفُهـا من عنــبر عَبِقِ
هَب الجبينَ بفضل الكُمِّ تَستُره
والحُلْىَ تنزِعه ، ما حيلَةُ العــرَق

وقال[2] :

أنَا فى عَذابٍ من فِراقك نَشْوانُ من خَمْــر اشتياقِكْ
صبُّ الفــؤادِ إلى لِقــا ئكَ ، وارتشَــافك ، واعتناقِكْ
لا تحســبى أنّى ســلَو تُ ، لمـا تَوالَى من فِراقِكْ
هــذى جُفـونى أقسَمَت لا تلتَــقى ما لم تُلاقِــكْ
فَصــلِى جميــلَ الظّنّ بى وثِقِى ، فقلبِى فى وَثاقِــكْ

قافية الكاف

وقال[3] :

أخلَفْتَنى وعدَك لِى ومُخلفًــا أعهَــدُكَ
فَعِــدْ بأن تَهجرنى واجْرِ على عادَتِكَ

---

(١) النص من قلائد العقيان ص ٥ . وفتح الطيب بمصر (١١٣٨) والمجموع ١ (ص ٢١٠) .
(٢) النص من المجموع ١ (ص ٢٠٧) .
(٣) النص من المجموع ١ (ص ٢١٥) .

وقال فى غلام رآه يوم العروبة[1] :

أبصرتُ[2] طوقَك بين مُشتَجِر[3] القَنا ... فبدا لطرفى أنه فلَكُ
أولبس وجهُكَ فوقه قمرًا ... يُجلَى بنَيِّر نُوره الحَلَكُ

قافية اللام

وقال فى زوجه (اعتماد)[4] :

بَكَرَتْ تلومُ ، وفى الفؤاد بَلابِلُ[5] ... سَفَهًا . وهل يَثْنى الحليمَ الجاهلُ
يا هذه ، كُفِّى ، فإنّى عاشقٌ ... من لا يَرُدُّ هَوَاى عنها عاذِلُ
حبُّ اعتمادٍ فى الجوانح ساكنٌ ... لا القلبُ ضاق به . ولا هو راحلُ
يا ظبيةً ، سَلَبَت فؤادَ محمّدٍ ... أَوَ لَمْ يروِّعْك الهِزَبْرُ الباسِلُ
من شكَّ أنّى هائمٌ بك مغرمٌ ... فعلى هَواكِ لهُ علىَّ دلائلُ
لونٌ كَسَتْه صفرةٌ ، ومدامعٌ ... هطَلَت سحائبُها ، وجسمٌ ناحلُ

---

(1) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧

(2) النص من قلائد العقيان ص ٨ . ونفح الطيب ١١٣٩ وخريدة القصر (١١ : ١٥٣) .
وفى الأصول « طرفك » تحريف ولعل الصواب ما أثبتنا .

(3) مشتجر القنا بكسر الجيم : مختلطه من إضافة الصفة الموصوف ، ويصح الفتح أيضا أى مكان اشتجاره .

(4) هذا النص من المجموع ا (ص ٢٠٢) .

(5) البلابل : شدة الهم ووسواس كالليان . والبلابل والبلبال : الهم والحزن .

وقال[1] :

لَقَلْبي لبعدِك عنى عليلُ ... فشوقي صحيحٌ، وجسمي عليلُ

وَوُدِّي على حَسْب ما تعلمين ... تَزُول الجبال ، وما إن يزول

فلا تَسْتَحيلي نُبعدِ الدِيا ... رِ، فإني مع البُعد لا أستحيل

وقال[2] :

من عاشقٍ يشكو صَبابَاتِه ... إلى مُحِبٍّ هائمٍ مثله

كلاهُما صبٌّ إلى إلْفِه ... حرَّانُ ، ظمآنُ إلى وصلِه

يا ربُّ ، عجِّل جمعَ هذا بذا ... وقَرِّب الشَّكل إلى شكلِه

وكان[3] قد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا ، بخاء وزنهما سبعمائة مثقال ، فأهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد ، والهلال إلى ابنه الرشيد وقال :

بعثنا بالغَزال إلى الغَزال ... وللشّمس المنيرةِ بالهلالِ

ثم أصبح مصطبحا ، وجاء الرّشيد فدخل عليه ، وجاء النّدماء والجلساء ، وفيهم أبو القاسم بن المرزبان ، فحكى لهم المعتمد البيت ، وأمرهم بإجازته ، فبدر ابن المرزبان فقال :

فذا سكنى أبوّئه فؤادى ... وذا نَجْلى أُقَلِّدُه المعالي

شَغلتُ بذا الطّلا[4] خَلدى ونفسى ... ولكنّى بذاك رَخىُّ بالِ

(١) هذا النص من المجموع ا (ص ٢٠٤) .

(٢) « « « « (ص ٢٠٣) .

(٣) هذا النص من نفح الطيب (أوروبا : ٢ : ٤١٥) ومصر (٩٩٤) . (٤) ولد الظبي .

دفعتُ إلى يـديه زمامَ ملـكى مُحـلًّى بالصّـوارم والعَـوالى
فقـامَ يُقـرُّ عينى فى مَضـاءٍ ويسـلُكُ مسلكى فى كلّ حالِ
فـدُمْنـا للعـلاء . ودام فينـا فإنّا للسّمـاح وللنّـزالِ

وقال[1] :

يُقـاتل باللحـظ محبوبُنَـا وبالسّيف والرمح أمضى قتال
فطوراً يَصيد ظبـاء النّسـاء وطوراً يصيد أسودَ الرّجال

وكان المعتمد قد غنّى بين يديه بقول ابن المعتزّ[2] :

وحمارةٍ من بنات المجوس تَرَى الزّقَّ فى بيتهـا سائلاَ
وزنّا لهـا ذهبـاً جامـداً فكالَت لنـا ذهبـا سائلاَ

فأجازهما بقوله :

وقلنا خُذِى جوهراً ثابتـاً فقالت خُذوا عرضًا زائلاَ

وقال[3] :

علّل فؤادَك قـد أبلّ عليلُ واغنم حياتَك ، فالبقاءُ قليلُ
لو أنّ عُمرَكَ ألفُ عامٍ كاملٍ ما كان حقًّا أن يُقال : طويلُ
أكذا يقودُ بك الأسى نحو الردى والعُود عُودٌ والشّمول شَمولُ
لا يستبيك الهمُّ نفسَك عنوةً والكأسُ سيفٌ فى يديك صقيلُ
بالعقل تزدحم الهمومُ على الحشا فالعقل عندى أن تزولَ عُقولُ

(١) هذا النص من المجموع ا (ص ٢٠٩) .
(٢) « « من بدائع البدائه ص ٨٨
(٣) النص من المعجب ص ٧٢

قافية الميم

وقال[1] :

لك الله، كم أودعتِ قلبيَ من أسىً[2] وكم لكِ ما بين الجوانح من كَلْمِ
لحاظكُ طولَ الدهر حربٌ لمهجتي ألا رحمةٌ تثنيك يوماً إلى سلمى

وقال[3] :

حكَّمتُهُ في مهجتي حُسْنُهُ فظلَّ لا يعدلُ في حُكْمِهِ
أفديه، ما ينفكُّ لي ظالماً يارَبِّ، لا يُجزَ على ظُلْمِهِ

وعزم المعتمد على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية، فخرج معهن يشيّعهن فسايرهنّ من أوّل الليل إلى الصّبح، فودّعهن ورجع فقال[4] :

دارَى الغرامَ، ورام أن يتكتّما وأبى لسانُ دموعه، فتكلّما
رحلوا، وأخفى وجدَه فأذاعَه ماءُ الشُّجون، مصرِّحاً ومُجَمْجِماً
سايرتُهم، والليل غُفْلٌ ثوبهُ[5] حتى تراءى للنواظر معلَماً
فوقفتُ ثَمَّ محيراً[6]، وتسلّبت منّي يدُ الإصباح تلكَ الأنجُما

قافية النون

وقال[7] :

يا بدرُ تَمٍّ تَجلَّ فالأرض تُشرق منهُ
العجزُ خُلُقٌ ذميمٌ فلا تُحدِّث عنه

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) والمطرب ص ٧

(٢) في رواية على هامش المطرب «أسيها» .

(٣) هذا النص من المطرب ص ١٤ ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

(٤) هذا النص من نفح الطيب (مصر ١١٨٥) وخطيّ الذخيرة أ ٢ : ١٠ ب ٢ : ١٣ وخريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٥) في نفح الطيب «عقده» .

(٦) في أصلي الذخيرة «محيرا» وفي النفح «مودعا» وكلها لا أثبتنا أول .

(٧) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٥) .

وقال فى غلام اسمه سيف[1] :

سُمِّيتَ سيفاً . وفى عينيك سيفان هـذا لقتلىَ مسلولٌ وهـٰذانِ
أما كفتْ قَتلَةٌ بالسّيف واحدةٌ حتّى أُتيح من الأجفان ثِنْتَان
أسَرْتَهُ ، وثَنانى غُنجُ مُقلتَـه أسيرَه . فكلانا آسِرٌ عَانِ[2]
ياسيفُ أمسِك بمعروفٍ أسيرَ هوًى لا يَبتغى منك تسريحًا بإحسانِ

قافية الياء

وقال[3] :

قلبى مُوالٍ لمعاديه وعاشقٌ من لا يُبالِيه
خِلٌّ ظلومٌ كلّما زدتُه مودّةً ، زادَ تجنّيه
يا غَفّر الله له ذَنبه فى ظُلم صبٍّ هائمٍ فيه
يا حَسَن الوجه بحقّ الهوى لا تَرض قُبحَ الهَجر والتِّيه

وقال[4] :

فَتكَتْ مقلتاهُ بالقلب منّى وبكت مُقلتاى شوقًا إليه
فحكى لحظُه لنا سيفَ عبّا دٍ ، ودمعى له سحابَ يديه

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) والمعجب ص ٧٣

(٢) العانى : الأسير

(٣) هذا النص من المجموع أ (ص ١٩٨) .

(٤) هذا النص من المطرب ص ١٤ - وخريدة القصر (١١ : ١٤٦) والمجموع أ (١٩٩) .

(٢)

الوصف

قافية الهمزة

وقال[١] :

ولقـــد شربتُ الرّاحَ يسطعُ نورُها ... والليلُ قد مـــدَّ الظلامَ رِداءَ

حتى تبدّى البدرُ فى جوزائِه[٢] ... مَلِكا تَنَـاهى بهجةً وبَهـاءَ

لمّـا أرادَ تـــنزّهًا فى غربه ... جعلَ المِظلّةَ فوقه الجوزاءَ

وتناهضت زُهرُ النّجوم يحفُّه ... لَألاؤُها ، فاستكمل الآلاءَ[٣]

وترى الكواكبَ كالمواكب حولَه ... رُفعت ثُرَيّاها عليـــه لواءَ

وحكينُه فى الأرض بين مواكبٍ ... وكواعبٍ ، جمعت سنًا[٤] وسَنَاءَ

إن نَشَرتْ تلك[٥] الدروعَ حنادسًا ... ملأت لنا هذى[٦] الكتوسَ ضياءَ

وإذا تغنّت هـــذه فى مِزهَرٍ[٧] ... لم تألُ تلك على التّريكِ[٨] غنَـاءَ

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان ص ٦ وفتح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٤ ومصر ١١٣٩) .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء ، سميت بذلك لأنها معترضة فى جوز السماء أى وسطها . والجوزاء أيضا نجم .

(٣) ورد هذا البيت فى فتح الطيب متقدما على سابقه .

(٤) السنا بالقصر : الضوء . والسناء : المجد والرفعة .

(٥) تلك : فاعل نشرت ، والاشارة إلى المواكب . والدروع مفعول به .

(٦) هذى : إشارة إلى الكواعب وهى فاعل ملأت ، والكتوس مفعول به .

(٧) المزهر : العود الذى يضرب به .

(٨) التريك كما فى اللسان (ترك) : بيضة الحديد للرأس والجمع تراك وتريك .

قافية الحاء

وأمره أبوه المعتضد أن يصف مجنّاً ، لازوردىّ اللون ، مطوقا بالذهب ، فى وسطه مسامير مذهبة وفيه كواكب فضّة . فقال[1] :

مِجَنٌّ حكى صانعوه السّماء ... يَتَقْصُرَ عنــه طِوالُ الرماحْ
وقد[2] صوّروا فيه شبه الثُّرَيّا ... كواكبَ تَقضى له[3] بالنّجاح
وَقَدْ طوّقُوه بذَوْبِ النُّضـارِ ... كما جَلَّلَ الأُفقَ ضَوءُ الصّباح[4]

قافية الدال

وقال يصف فوّارة[5] :

ولربّمـا سلّت لنـا من مائِها ... سيفًا ، وكان عن النّواظِرِ مُغْمَدَا
طبعتْه لُجّيًّا ، فذابت[6] صفحةٌ ... منه ، ولو جُمِدت لكان مهنّدَا

---

(١) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٤٨٦) والمجموع أ (ص ٢٠٩) والحلة السيراء نقلا عن دوزى ص ٦٣

(٢) فى المجموع أ والحلة السيراء « وصاغوا مثال الثريا عليه » .

(٣) فى المجموع أ والحلة السيراء « لنا » .

(٤) هـذا البيت ساقط من الخريدة ونفح الطيب وما أثبتنا عن الحلة السيراء وفى المجموع أ « وتزدان أطرافه بالنجوم ... كما لبس الأفق ثوب الصباح » .

(٥) هذا النص من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ٤١١) ومصر (٩٨٨) وديوان ابن حديس (١٤٢) .

(٦) رواية نفح الطيب « فزات » .

قافية السّين

وقال فى شمعة[1] :

وشمعــةٍ تنفى ظلامَ الدُّجى ... نَفْىَ[2] يَدى العُدمَ عن النَّاسِ[3]
ساهرتُها، والكأسُ يَسقِى[4] بها ... مَن ريقُه أشهى من الكَاسِ
ضياؤُها — لا شكّ — من وجهه ... وحرُّها من حرِّ أنفاسى

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١ : ١٤٠) والمجموع أ (٢٠٨) .

(٢) فى المجموع أ « نفى العدم » .

(٣) ورد بعد هذا فى المصدر السابق البيت الثانى :

قد جعل الرحمن من نعمه ... حياتها فى القطع للرأس

(٤) فى المجموع « يسعى » .

(٣)

إلى أبيـــه

قافية البـاء

وله إلى أبيه[1] :

يـأيُّهـا الملكُ الذى كفّاه بحّاتا[2] السَّحابْ
أنعمت بالبيض الكَعَا ب، على والخيل العِرابْ
وغدوتَ تُخشى للعِفَـا ب ، كما تُرجَّى للثَّوابْ
برضـاك أُبصِرُ نائِيَ الآمالِ مـنّى ذا اقـترابْ
وبطيب أيّامى لديـك عـرفتُ أيّامَ الشبـابْ
فشـكرتُ ماأوليتنيـه من أياديـك العِـذابْ
بشبَـا سِنانِى فى الطّعا نِ وحُسامِى فى الضِّرابْ
وشَبـا لِسانى فى المحـا فل ، بالتّعثُّر لا يُشَابْ
لا زلت تنتَعِلُ النجو مَ، وخدُّ قِتْلِكَ فى التُّرابْ

---

(١) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٨) .

(٢) فى الأصل « بحات » .

(٣) القتل بالكسر : العدو والقاتل ج أقتال .

وله إليه أيضا[1] :

أُمْنُنْ على عبدٍ رجاكَ بساعة ... يرتاحُ فيها باصطياد أرانب
حتى يصيدَ بسعدك الأبطالَ في ... يوم الوغى بأسنّةٍ وقواضب

وله إليه[2] :

أمُعتضدًا بالله دعوةَ آملٍ ... رجاكَ على بُعدٍ ، فأصبح ذا قُرب
فأمَّ مأمولًا ، وأمَّ مُيَمِّمًا ... وحامت أمانيه على موردٍ عذبِ
موارِدُ ما حلّأنَ[3] عنهنَّ حائمًا ... ولا غادرته غير مستعذَب الشُّرب
وهأنا ظمآنُ لمنهل وِردكم ... وحسبي موقوفٌ على وِردكم حَسْبي
أفزْ[4] بالذي أمّلت مذكنتُ آملًا ... وتحتلُّ من علياه في المنزل الرَّحب
فجئتُ أُغذُّ السَّير حتى كأنني ... لإفراط إغذاذي على أظهر النُّجْب[5]
فألفيتُ أعلى الناس قدرًا، وسُؤْدَدا ... وعدلا، فَدَتْه النفس صدقا بلا كذب
يَهُشُّ إلى راجيه، كالوامق الصَّبُ ... ويهتزُّ للمعروف، كالصارم العَضب
وإنّي لِما تُولي وأوليتَ شاكرٌ ... فمن شكر النَّعماءَ، نال رضا الرَّبّ

وكتب إليه :

أيا مَلِكًا يَجِلُّ عن الضَّريب ... ومن يلتذُّ غُفران الذُّنوبِ
ومن في كفِّه بُؤسَى ونُعمَى ... تَصرَّفُ في العدوِّ وفي الحبيب

---

(١) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٩) .
(٢) هذا النص من المجموع أ (ص ٢٢٠) .
(٣) يقال « حلأ الأبل والماشية عن الماء تحليئ وتحلئة : طردها أو حبسها عن الورود ومنعها عن أن ترده . وكذلك حلأ القوم عن الماء : منعهم . وانظر اللسان (حلأ) » .
(٤) كذا ورد البيت ولعل قبله سقطا .
(٥) هذا النص من المجموع أ ص (٢١٤) .

تسخُطك المضُّ أعلَّ نفسى ومالى غيرَ عفوك من طَبيبِ
ولستُ بمنكر ذنبى ، ولكنّى قد جئتُ فى حال المُريب
فان عاقبتنى بجزاءُ مثلى وإن تصفح فلبسَ من الغَريب
بقيتَ مؤيدًا ، ما لاح برقٌ وما غنّى الحَمامُ على قَضيب

قافية الحاء

وقال يسترضى أباه[1] :

مولاى أشكو إليك داءً أصبح قلبى به قريحَا
إن لم يُرِحْهُ رضاك عنى فلست أدرى له مُريحَا[2]
سُخطُك قد زادنى سَقَامًا فابعث إلىّ الرِّضا مَسيحا[3]
واغفِر[4] ذنوبى ، ولا تُضيّق عن حَملِها صدرك[5] الفسيحا
لو صوّر اللهُ للمعالى جسمًا لأصبحتَ فيه رُوحا

---

(١) هذا النص من المطرب ص ١٣ ، وفلائد العقيان ١٩ وفتح الطيب (أوروبا ٢ : ٢٨٤) ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٥) والمجموع أ ص ٢٠٥ والحلة السيراء نقلا عن دوزى ص ٦٧ .

(٢) هذا البيت وارد فى المجموع والحلة ، والرواية فى المجموع « توجه » .

(٣) قال ابن دحية فى المطرب ص ١٣ « قوله مسيحا من القوافى التى يخدى بها لصعوبتها على من رامها وأدخلها فى بابها إذ كان المسيح بن مريم يشفى من العلل وأوصابها » .

(٤) هذا البيت وتاليه من الحلة السيراء . (٥) فى الأصل « صدرى » .

قافية الدال

وكتب إلى أبيه يشكره عن فرس أصـدأ بعثه إليه[1] :

مَوالُ جزيل ، يُنهِـرُ الشكرَ والحمدَا
وصُنعٌ جميـلٌ ، يُوجب النُّصحَ والوُدَّا
لقـد جُدتَ بالعلق الذى لو أُباعُه
بذلتُ ، ولم أغبَنْ ، به العيشَـةَ الرَّغدا
جـوادٌ أتانى من جوادٍ تطابقـا
فيا كَرَمَ المُهدى ، ويا كرمَ المُهْدَى
وكم من يدٍ أوليتَ موقعُها ندٍ
لدىَّ ، ولكن أين موضعُ [ذَا][2] الأصْدَا[3]
لعـلِّىَ يومًا أن أوفِّىَ حقَّـه
فأنعـلَه ممن عصى أمرَك الخـدَّا

وبعث إلى أبيه يطلب جوادا[4] :

ألا يا غُرّة السَّعدِ وقُـرَّة ناظر المجْـد
ومولاى الّذى مازَا ل يسحَبُ حلّة الحمدِ
نعبدِكَ همَّـةٌ هامت بركض الضُّمرِ الجُـرد

---

(١) هذا النص من قريضة الفصر (١١ : ١٤٥) .
(٢) تكلة لسقط بالأصل يقتضيه الوزن .
(٣) الصداة كما فى اللسان (صدأ) : شقرة تضرب إلى السواد لغالب ، وفرس أصدأ بين الصدأ إذا كان أسود مشربا بحمرة .
(٤) هذا النص من المجموع أ (ص ٢٦٧) .

ويرغَب ضارعاً منهـا إلى عَلباك فى الوَرد[1]

وإن تقبضه من عبدٍ تُمُنّ به على عَبْد

فبعثه إليه مسرجا ملجما ، فكتب إليه :

خلعتَ ثوب الصّفى[2] . . .

وكتب إلى أبيه[3] :

مولاىَ ياذا الأيادى كواكفاتِ الغوادى

أنا عُبيدٌ مُعدٌّ لحسم داء الأعادى

واعتادتِ النّفسُ منّى تصيُّدَ الآساد

بحقّ[4] لحمٍ وطىٍّ وكِندةٍ ومُرادِ

ملكتُ من أرض حمص[5] إلى قرى سَنداد

إنّى عليها مقيمٌ لرائح أو لِغَادِ

أُكُرُّ بالضرب فيها والطّعن عند الجِلاد

حتّى أبحتُ حِماها بمرهَفاتٍ حِداد

إن لم نكُن أُسْدَ غيل نكن جآذرَ واد

---

(١) الورد : الفرس الأحمر .

(٢) راجع الأبيات فى قافية الياء ص ٤٥

(٣) هذا النص من المجموع أ ص ٢٠٠

(٤) هذا البيت والبيت بعده بياض فى آخر القطعة ولعل ترتيبها أول .

(٥) حمص : تشبيلية .

قافية الراء

وقال يستعطف أباه حين خرج من مائقة[1] :

سكّن[2] فؤادَك . لا تذهب بكَ[3] الفِكَرُ
ماذا يُعيـــد عليك البثُّ[4] والحـــذَرُ
وازجُر جُفُونَك ، لا ترض البكاءَ لها
واصبِر ، فقد كنت عند الخَطب تصطبِرُ[5]
وإن يكن قـــدرٌ قد عاق عن وطَرٍ
فلا مردَّ لمـا يأتى به القَـــدَرُ
وإن تكن خَيبـــةٌ فى الدهر واحدةٌ
فكم غزوتَ[6] ومن أشياعك الظَّفَرُ

(1) كان المعتضد بالله قد بعث بابنه جابر ومحمد المقلب بعد بالمعتمد إلى ما لقه بعد تقاص الطلال الخودية عنها فاستولوا عليها سنة ٨٥٨ ثم لم يبث المدافعة بها أن استعرضوا أميرهم بأديس فأسرع إلى محاربة ابنى عباد فهزمهما واضطرهما إلى الفرار إلى رندة ... فخاطب المعتمد أباه بهذا الشعر يستعطفه ويسليه عن مصابه فى هزيمته ... »

وانظر البيان المغرب (٣ : ٢٧٣) .

(2) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٥) والمجموع ا (ص ٢١١) . والمطرب ص ١٣ وقلائد العقيان ص ١٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٤١ وأصل الذخيرة (أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) والمرقصات والمطربات (٦٠) والحلة السيراء نقلا عن دوزى ص ٦٣

(3) فى قلائد العقيان والمجموع « به » .

(4) فى خريدة القصر « الهم والسهر » .

(5) فى المجموع (تستتر) .

(6) فى المجموع « غدوت » .

إن كنتَ في حيرة من[1] جُرم مُجترِمٍ
فإنّ عُذرك في ظلمائها قَمَرُ

كم[2] زفرةٍ في شَغافٍ[3] القلبِ صاعدةٍ
وعَبرةٍ من شؤون الدهر تنحدرُ

فوِّض إلى الله فيما[4] أنت خائفُه
وثق بمعتضِدٍ بالله ، يعتفرُ

ولا تَرُعْك[5] خطوبٌ . إن عدا زمنٌ
فالله يدفع ، والمنصورُ ينتصرُ

واصبر ، فإنك من قومٍ أُولي جَلَدٍ
إذا أصابتهمُ مكروهةٌ ، صبَرُوا

مَن مثلُ قومِك ، من مثلُ اهمَامِ أبي[6]
عمرو أبيكَ ، له مجدٌ ومفتخَرُ

سميذَعٌ[7] يَهَبُ الآلافَ مبتدئاً[8] ويستقلُّ[9] عطاياهُ ويعتذرُ[10]

---

(١) في أصل الذخيرة والحلة « عن جرم » .

(٢) هذا البيت والأبيات الأربعة بعده رواها المجموع والحلة السيراء .

(٣) الشغاف كسحاب : غلاف القلب أو حجابه أو حبه أو سويداؤه .

(٤) هذه رواية الحلة السيراء . وفي المجموع « عما » .

(٥) في الحلة « ولا يروعنك خطب » .

(٦) هذه رواية الحلة السيراء . وفي بعض النسخ « والملك اهمام أبو ال عمرو أولك » .

(٧) السميذع : السيد الكريم الشريف السخي الخوطا الأكناف والشجاع .

(٨) في المجموع : « مفتقرا » وما أثبتنا من المصادر الأخرى .

(٩) في المرقصات لابن سعيد « وبعد ذلك يعفو ويعتفر » .

(١٠) في المجموع « ويعتمر » .

لـــه يدٌ ، كلُّ جبّـار يُقـــبلهـا ... لولا نَداها [1] لقلنـا إنّهـا الحجَـــرُ [2]

يا ضيغَماً ، يقتُل الفُرسان [3] مفـــترِساً ... لا تُوهِنَنّ ، فانّ النّـاب والظُّفـــرُ

وفارساً ، تحذرُ الأبطـالُ صـــولَته ... صُنْ [4] عبدَك القِنّ ، فهو الصّارمُ الذّكرُ

هـو الّذى لم تَشِمْ يُمنـاك صفحتَـه ... إلّا تأتّى مرادٌ ، وانقضَى وطَـــرُ [5]

قـد أخلَقتنى صُروف ، أنت تعلمُهـا ... وغالَ [6] مـــوردَ آمـالى بهـا كدرُ

فالنّفسُ جازعةٌ ، والعـــين دامعـةٌ ... والصّوتُ منخفضٌ ، والطّرف منكسِرُ

وحُلتُ [7] لوناً ، وما بالجسم من سَقَـــم ... وشِبتُ رأسًا ، ولم يبـلغنى الكِـــبَرُ

ومُتّ إلّا ذَمـاءً فىّ ، يُمســكه ... أنّى عهدتُك تعفـو حين تقتـدرُ [8]

لم يأت عبـــدُك ذنبـا يستحقّ به ... عتبًـا ، وها هـو قـد نَاداك يعتـذرُ

ما الذّنب إلّا على قـــوم ذوى دغَلٍ ... وَفَى لهم عهدُك [9] المعهودُ إذ غَدروا

قومٌ نصيحتُهم غشٌّ ، وحبّهم [10] ... بُغضٌ ، ونفعُهم — إن صَرّفوا — ضَرر

يُمـيّزُ البغض فى الألفاظ ، إن نطقـوا ... ويُعرف الحقدُ فى الألحاظ ، إن نَظَروا

---

(١) فى المجموع : « نداه » .

(٢) يريد الحجر الأسود .

(٣) فى المجموع أ : « الأبطال » .

(٤) هذه رواية المجموع وفى بقية المراجع : « من خد عبدك » .

(٥) ورد البيت فى موضعه هذا فى المجموع .

(٦) فى المجموع « وغال موردَ مالى بها صدر » .

(٧) فى المجموع « وزاد هى بيا » .

(٨) هذا البيت وارد فى المجموع والخلة ، وفى المجموع « وذنب » . والذماء : بقية النفس

(٩) فى قلائد العقيان : « عدلك المألوف » .

(١٠) فى المجموع « وصدقهم ... مين »

إن يحــرق القلبَ نفثٌ من مقالهم ... فإنّما ذاك من نار القِلى شَرَرُ

مولاى ، دعوةَ مملوكٍ به ظمأٌ ... بَرْحٌ[1] ، وفى راحتيك السَّلْسَلُ الخصِرُ[2]

أجب نداءَ أخى قلبٍ تملّكه ... أسًى ، وذى مُقلةٍ أودَى بها السَّهرُ

لم أوتَ من زمنى شيئًا ألذُّ به[3] ... فلستُ أعهدُ[4] ما كأسٌ ولا وترُ

ولا تملّكنى دلٌّ ولا خَفَرٌ ... ولا سبَى خلَدى غُنجٌ، ولا حَوَرُ

رضاك راحةُ نفسى لا بُغيتُ به ... فهو العتادُ الذى للدّهر يُدّخرُ[5]

هو المُدامُ التى أسْلُو بها فإذا ... عدمتُها عَمِيَتْ[6] فى قلبى الفِكرُ

أجَلْ ، ولى راحةٌ أخرى كَنفتُ[7] بها ... نَظمُ الكُلى فى القَنا والهامُ تنتثرُ

ما تَرْكَ الخمرَ من زُهدٍ ولا ورَعٍ ... فلم يُفارق — لَعمرى — سِنّى الصَّغَرُ

وإنّما أنا ساعٍ فى رضاك ، فان ... أخفقتُ فيه ، فلا يُفسَحْ لىَ العمُرُ

ما سرّنى ، وأحاشى عصر عطفكم ... يومٌ أخل به فى عينى القصَرُ[8]

---

(١) البرح : الشدة .

(٢) هذا البيت والذى يليه ذكرهما المجموع . والخصر ككتف : البارد .

(٣) فى المجموع ا : « أسربه » .

(٤) فى بقية الأصول « لست أعرف » وما أثبتنا من المجموع .

(٥) فى رواية المجموع « أدخر » .

(٦) فى حلة « رقدت » .

(٧) فى المجموع « علقت » .

(٨) كذا ورد هذا البيت فى المجموع .

كم وقعةٍ لىَ فى الأعداء واضحةٍ ... تَفنى الليالى . وما يَفنى لها الخبرُ
سارت بها العيسُ فى الآفاق . فانتشرت ... فليس فى كلِّ حىّ غيرَها سَمَرُ
لا زلتَ ذا عزّةٍ قعساءَ شامخةٍ ... لا يبلُغ الوهمُ أدناها ولا البصرُ
ولا يزل وَزَرٌ من حسن رأيك لى ... آوى إليه . فنِعم الكهفُ والوزَرُ
إليك روضةَ فكرٍ جادَ منبتَها ... نَدى يمينك . لا طلٌّ ، ولا مَطَرُ
جعلتُ ذكرك فى أرجائها زَهَرًا[1] ... وكلُّ أوقاتها للجنى ثَمَرُ

وأرسل إليه[2]:

يأيها الملكُ الذى لم يزلْ ... يسرى إلى غُرّته السَّارى
وجامعًا فى كفّه بالنّدى ... والبأسِ . بين الماء والنّارِ
إهنأْ ، فقد نلتَ الذى تَشتهى ... نفسُكَ ، واشكرْ نعمةَ البارى

وأرسل إليه أيضا[3]:

أيا ملكًا ، عمّى فضلُه ... ولم ألْفِ فى بحر نُعماه زَجْرَا
عَهِدنا البحارَ لجزرٍ ، ومَدٍّ ... وتأبى بحارُ أياديك جَزْرَا
دعونا الأمانىَ لمّا رضيتَ ... فجاءت . تَوالَى علينا . وتَترَى
فلم يبق لى أملٌ أرتجيه ... سوى أن أقومَ بنُعماكَ شُكْرَا
بقيتَ . ولا مُلكَ إلّا وقد ... غدا ملكَ كفّكَ . قَهرًا وقَسْرَا

---

(1) فى المجموع « نجرا » وما أثبتنا من الفريدة .
(2) هذا النص من المجموع ١ (ص ٢١٨) .
(3) هذا النص من المصدر نفسه (ص ٢١٩) .

قافية العين

وكتب إلى أبيه[1] :

أَلَا يا مليكًا . ظَلَّ فى الخَطب مَفْزَعَا
ويا واحدًا . قد فاق ذا الخَلقَ أجمعَا
تَرَفَّقْ بعبد . وُدُّه لك شيمةٌ
إذا كان وُدٌّ من سواه تصنُّعَا
لئن كنتَ عن جهل . فديتُك . غافرًا
فكم عاثرٍ قالت عُلاكَ له : "لَعَا"[2]
أقِلْنى ، تجد عبدًا شكورًا ، وصارمًا
يحزُّ من الأعداء لِبًّا وأخْدَعَا
عَلتنى من السُّخط الأليم سحابةٌ
فأغْرِ بها ريحَ الرِّضَا ، كى تَقَشْعَا

قافية الكاف

وقال[3] :

الشَّمسُ تخجلُ من جمالك فتغيبُ مُسرعةً لذلك
والغيث يَخجلُ أن يصو بَ . لما يراه من نَوالك
والبدرُ يطلُع ناقصًا حتى يُتَمَّمَ من كمالك

---

(١) هذا النص من المصدر السابق (ص ٢٠٤) .

(٢) كلمة وعاه تقال للعاثر .

(٣) النص من المجموع ا (ص ٢١١) ويرجح أنه فى أبيه .

قافية اللام

وكتب إلى أبيه جوابا عن تحفة[1] :

يا مَلِكًا قد أصبحتْ كَفُّه ... ساخرةً بالعارض الهاطِلِ
قد أخْجَلَتْنِي مِنَّةٌ، مثلُها ... يُضيِّقُ القولَ على القائِلِ
وإن أكن قصّرتُ عن وصفِها ... فحُسنُها عن وصفِها شاغِلي

وقال[2] :

بَعَثْتُ بالمرسَل البساطا ... منّى على خلقك الجميلِ
نَزْرًا حقيرا ، ففيه يأتى ... فضلُك فى العُذر والقبول
لو أنّه مهجتى لكانت ... تَصغُر فى قدرك الجليل

وكتب إلى أبيه[3] :

وساعةٍ للزمان مُسعفةٍ ... قنصتُ فيها أرانبًا وحَجَلْ
فلا أرانى الإلهُ منك رضًا ... إن لم أَصِدْ من عِداك كلَّ بطَلْ

قافية الميم

وقال فيه[4] :

يا مُتبعَ الإكرام إنعاما ... ومتبع الإنعام إتمامَا
وعادلًا فى النّاس، لكنّه ... أصبحَ للأموال ظلّامَا

---

(١) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٥) .
(٢) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١١) ونرجح أنه فى أبيه .
(٣) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٩) .
(٤) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٦) .

قرنتَ فى كفّك بحرَ الندى بصارم أسكنتَه الهَامَا
وجُمِّعَتْ فيك خصالُ الورى وحُزتَ آراءً وإقداما
فالموتُ والعيشُ بيمناك قد صرّفتَ أسيافًا وأقلاما
أثقلتَ بالإنعام ظهرى، فقد أُخْمِتُّ عن شكرك إخماما
فاسلَمْ[1] لإهراقِ دماءِ العِدا ما طردَ الإصباحُ إظلاما

وقال فيه حين أصابته الحمى[2] :

ياليتَ حربَ سقَى الأعادى طعنَين منه[3] . أُريًا وسُمَّا
هذا إذا ناشبُوه حربًا . وذا إذا استوهبُوه سَلمَا
لا غروَ أن حُمَّ منك جسمٌ فعادةُ الأُسْد أن تُحَمَّا
وليهنِنِى أن طلعتَ بدرًا لأعين الخَلْق مُستَهَمَّا
لا زلتَ يلقى العداةُ بؤسَى منك . ويَلْقى الوُلاةُ نُعمَى
ولْيَخزَ من خَلَ من حسود أنّ بك[4] الحقَ قد ألَمَّا

(١) ورد قبل هذا البيت البيت الثانى هكذا :
سلمتَ أفضالا دعى كى ترى تزيد فى عمرك أعوامًا .

(٢) هذه النصر من المجموع ١ (ص ٢٠٥) وفيه « يا ليت حربا » تحريف .

(٣) فى الأصل « منها » .

(٤) فى الأصل « أن يكن » تحريف .

وقال فيه أيضا[1] :

أوَجْهَ البدرِ يُشرق فى الظلام ... وسِترَ الله مُذ على الأنام

وليثَ الغاب إقداماً وبأساً . ... وربَّ الفضل والنِّعم الجسام

عُبيدُك مولعٌ بالصَّيد قِدماً ... وحُبُّ الصَّيد من شيم الكرام

فإذنَكَ فيه ، واسلَم للأعادى ... تُديرُ عليهمُ كأسَ الحِمام

قافية النُّون

وكتب إلى أبيه يطلب مجنًّا[2] :

أيا ماجدًا لم يَرُمْ شامخًا ... من المجد فاحتلَّ غيرَ القُنَنْ

سألتُك صفراءَ بكْرًا، فجُد ... علىّ بها شافعًا للمُنَنْ

تَرُدُّ السِّنانَ إذا أمَّها ... شبا حدِّه عن قويم السَّنَنْ

وإن كنتُ من معشرٍ فى الوغى ... أقاموا القُلوب مقامَ الجُنَنْ[3]

---

(1) النص من المجموع ا (ص ٢١٩) .

(2) النص من المصدر نفسه (ص ٢١٧) .

(3) جمع جنة وهى ما يتقى به ويستتر فيه .

قافية الياء

وقال ، وقد بعث إليه والده بجواد مُسرج مُلجم . كان قد طلبه منه[1] :

خَلعتَ ثوب الصِّبَى على العُبَيْد الوَفِيّ
يا مسترقًّا بنُعمَاهُ ، كلُّ حُرٍّ سَرِيّ
أتَى على الورد[2] سرجٌ كالهَدَى فوق الهَدِيّ[3]
فسوف أُورِدُ رُمحِي عليه قلبَ الكُمَيّ

---

(١) النص من المجموع ا (ص٢١٧) وراجع الأبيات :
ألا يا عمرة السعد ... وفرة ناظر المجد ص ٣٤

(٢) الورد : الفرس الأحمر .

(٣) الهدى بسكون الدال : ما يهدى من مال ومتاع وغيرهما . والهدى بكسر الدال وتشديد الياء : الفرس تهدى الى زوجها . والمعنى أن الفرس عليه سرجه ، كالعروس عليها حليها .

(٤)

فى أولاده

قافية الدّال

قال فى ابنه المأمون أبى الفتح[1] :

وردتَ[2] أبا الفَتْح يا سيِّدى ... وُرودَ الكَرى بعد طُول السُّهادِ
ولمّا احْتَلَلْتَ بنا لم تُحَلّ ... من القلبِ والعينِ غيرَ السَّواد
ودُونَك منا طيورًا غدت ... تطيرُ إليك بريشِ الوِدَاد

قافية الرّاء

وكان المعتمد حين وصل "لُورقة"[4] اعلم أنّ العدوّ قد بعث إليها جيشا ، فأمر ابنه الرّاضىَ بالخروج إليه فى عسكر جرّده ، فأظهر التّمارض ، وانصرف إلى المطالعة. فغضب المعتمد حينا ، ثمّ عطف عليه ، وكتب إليه مازحا[3] :

الملكُ فى طىِّ الدَّفاترْ ... فتَخَلَّ عن قَوْدِ العساكِرْ
طُفْ بالسَّرير مسلّمًا ... وارجع لتوديع المنابِرْ
وازحف إلى جيش المعا ... رف تَقهرِ الحبرَ المُغَامِرْ
واطعن بأطرافِ اليرا ... ع — نُصِرتَ — فى ثَغْرِ المحابرْ

---

(١) انظر ترجمه ص ٦٨

(٢) هذا النص من المجموع ا (ص ٢١٦).

(٣) هذا النص من قلائد العقيان ص ٣٤ ونفح الطيب (مصر ١١٢٤) .

واضرب بسكّين الدّوا ... ة ، مكان ماضى الحدّ باترْ

أَوَ لستَ رَسطَاليسَ[1] إنْ ... ذُكِرَ الفلاسفةُ الأكابرْ

وكذاك إن ذُكر الخَلي ... لُ[2] ، فأنت نحويٌّ وشاعر

وأبو حنيفةَ[3] ساقطٌ ... فى الرّأى حين تكون حاضرْ

من هرمُسٍ[4] ، من سيبوي ... ـهِ ، من ابن فُورَكَ[5] إن تُناظرْ

هذى المكارمُ قد حَوي ... تَ ، فكُن لمن حاباك شاكِرْ

واقعد فإنّك طاعمٌ ... كاسٍ[6] ، وقل : هل من مُفاخِر

خَجَبَتْ[7] وجْهَ رضاىَ عنـ ... ـك ، وكنتَ قد تلقاهُ سافِر

أَوَ لست تذكُر وقت لُو ... رقةٍ ، وقلبُك مُمّ طائرْ

---

(١) فى نسخ العبد « أسطاليس » .

(٢) الخليل بن أحمد .

(٣) الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان .

(٤) قالوا الفراسة ثلاثة : هرمس الأول وكان قبل الطوفان ، وهرمس : ثقب ، كما يقال قيصر وكسرى ونسبه الفرس فى سيرها « الهمهد » وتفسيره ذو عدل . وهرمس الثانى من أهل بابل وكان بارعا فى الطب والفلسفة عارفا بطبائع الأعداد وكان تلميذه فيثاغورس . وهرمس الثالث وقد سكن مصر وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السموم وكان حكيما فيلسوفا وله كلام حسن فى صناعة الكيمياء . (نظر طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ١٧) .

(٥) هو محمد بن الحسن بن فورك واعظ عالم بالأصول والكلام من فقهاء الشافعية ، حدث بنيسابور ودرس فيها مدرسة وله تآليف كثيرة (نظر الأعلام للزركلى ووفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٦) أى مكسو .

(٧) رواية القلائد « خجبت » .

لا يستقرُّ مكانَه وأبوك كالضرغام حَاذِرْ
هلّا اقتديتَ بفعله وأطعتَه . إذ ذاك آمرْ
قد كان أبصرَ بالعوا قب . والموارد . والمصادرْ [٢٩]

وقال وقد ذكر ابنه أبا هاشم [٣٠] فى أثناء احتدام القتال يوم العروبة [٣١] :

أبا هاشم [٣٢] هشمتنى الشفارْ [٣٣] فإنه صبرى لذاك الأوارْ
ذكرت شُخيصك ما بينه فسلم يَدْعُنى حبُّه للفرار

---

(٢٩) فأجابه الراضى بقوله :

مولاى قد أصبحت كافر بجميع ما تحوى المفاتر
وظللت ساكبَ الدموا ة . وظلت للأقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما بين الأسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى ضرب العساكر بالعساكر

وانظر تمام الأبيات فى قلائد العقيان (ص ٣٥ و ٣٦) .

(٣٠) أبو هاشم كنية أصغر أولاد المعتمد وكان أحبهم إلى أبيه وأحظاهم عن صغره لديه . كان تركه عليلا بأشبيلية حينما ذهب إلى القتال فى يوم الجمعة المشهور بيوم العروبة الذى حدثت فيه معركة الزلاقة . فذكره حين جدت الحرب وجرح فى جبينه ويمينه . وهذا الابن هو الذى دخل على أبيه فى أعمات فارتاع حين رآه يرسف فى قيوده لفقده العمرة ، فأهاج كامن حزن المعتمد فقال :

لبدى أما تعطى مسلما أبيت أن تشفق أو ترحما
دعى شرابك ، واطعمى قد أكلته ، لا تهشمى الأعظما
يعصرنى فيك أبو هاشم فينثنى القلب وقد هشما

وانظر تمام الأبيات فى قافية الميم فى شعره فى الأمر .

(٣١) انظر ما سبق عن وصف يوم العروبة ص ١٧

(٣٢) النص من خطيتى الذخيرة ٢ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤ والحلل الموشية ص ٤٢ ونفح الطيب (بولاق ١٨٢ ١) . وروض القرطاس ص ٩٨ وديوان ابن حمديس ص ٢٧٦

(٣٣) فى روض القرطاس « هشمتنى الشفار » . وقد ذكر الفتح وصفا مفصلا لما لاقاه المعتمد فى هذه المعركة فقال " وأتحن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت إلى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن فى أحد جنبيه وعقرت تحته ثلاثة أفراس كلما عثك واحد قام له آخر ... " .

(٥)

رسائل

قافية الهمزة

وكتب إلى أصحاب له بالزَّهراء ، يدعوهم إلى قصر البستان بقرطبة[1] :

حسدَ القَصْرُ فيكمُ الزَّهراءَ ونَعَمرى وعمـركُم ما أساءَ
قد طلَعتُم بهـا شُموسًا صَباحًا فاطلُعوا عنـدنا ، بُدورًا ، مساءَ

وكتب إلى أبى الطيّب أبى محمدٍ المصرىّ ، يستدعيه إلى الشّراب[2] :

أيُّهـا الصّاحبُ الّذى فارقَت عَيـ نِى ، ونَفْسى منه ، السَّنَا والسَّنَاءَ
نحن فى المجلس الّذى يَهَبُ الرَّا[3] حَةَ والمِسمعَ ، الغِنَى والغنـاءَ
نتعاطى التى تُنَسّى مِن[4] اللَّذْ ة والرَّقَّـة ، الهَوى والهَواءَ
فأته تُلـفِ راحةً ومحبًّـا قد أعدَّا لك[5] الحَيَا والحياءَ

---

(١) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٦) وقلائد العقيان ص ١٠ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢ : ٤٢) .
(٢) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٦) وقلائد العقيان ص ٧ ، ونفح الطيب (مصر ١١٣٩) ، والمجموع ا (١٩٩) .
(٣) الراحة : راحة اليد ، والمسمع : الأذن .
(٤) فى القلائد « نسى من » ، وفى المجموع « تنسيك فى اللذة » .
(٥) الحيا مقصور : المطر والخصب ، والحياء : الحشمة .

قافية الباء

وكتب إلى أبي عامر بن عبد شلب[1] :

يا مجاباً دعا إلى مُستجيب ... فسمعنا دُعاءَهُ من قَريب

إن فعلتُ الذي دعوتَ إليه ... كنتُ فيما رغبت عين رغيب

---

[1] حكى المقرى عن ابن غالب فى فرحة الأنفس أن نوزير أبا عثمان بن شنتفير وأبا عامر بن عبد شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن إقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لإصلاح ما كان بين المعتمد وبين بنى ذى النون ، فسر المعتمد بهم وأكرمهم وقدمهم إلى طعام صنعه لهم ، وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك ، فلما رأوا اقتراحه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب أجوبتهم كتب إليه أبو عامر :

طيب حجة لعبد رقيب ... بدع ذكرها له من نصيب

وفيها :

راذا الليل جن حدثك عنا ... ى بما كان من حديث عجيب

قيل إن الضحى لديك نهار ... وكذاك الدجى نهار الأريب

فصبت لبسلة ليس فيها ... مكا ذلك السنا من منيب

حيث أعطيك فى الخلاء وتعطي ... ني مدامًا كمثل ريق الحبيب

ثم أندو كأنى كنت فى النو ... م وأخفى المدام خوف مهيب

والمهيب : الرقيب العتيد فى كلام الأندلس ، فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب إليه :

يا مجابا ..... تيبين

واستحضره فقادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا ، وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير ، فأعمله بالأمر القائد ابن مرتين ، فكاد ينفطر حسدا وكتب إلى المعتمد :

أنا عبد ولبسه كل بر ... يدع من فنون برك فنى

غير رفع الحجاب فى شربك الرا ... ح فماذا جناه أن يجنى

وتمنى شراب سارك فى الكأ ... س ، فبالله أعطه ما تمنى

فسره أبياته وأجابه :

يا كريم المحل فى كل معنى ... .

راجع تمام الأبيات فى قافية النون ص ٦٣

وكان ابن عمّار قد كتب إلى المعتمد يستعطفه ، بعد أن حاول الوثوبَ على مرسية[1] ، بقصيدة مطلعها[2] :

أصدُقُ ظنّى أم أُصيخُ إلى صحبى ... فأُمضىَ عزمى أم أعوجَ إلى الرَّكبِ

ومنها :

حنانَيك فيمن أنت شاهدُ نُصحه ... ولبسَ له غيرَ انتصاحِكَ من حَسْب

وما جئتُ شيئاً فيه بغىٌ لطالبٍ ... يضاف به رأىٌ إلى العجز والعُجب

وما أغربَ الأيّامَ فيما قضتْ بِهِ ... تُرِينى بُعْدِى عنك آنسَ من قُربى!

سأستمنحُ الرَّحمىٰ لديك ضَراعةً ... وأسأل سُقيَا من تجاوُزِك العذبِ

فان نفحتنى من سمائك حَرجفٌ ... سأهتفُ يابردَ النسيم على قلبى

ومنها :

أخافُكَ للحق الذى لك فى دمى ... وأرجوكَ للحُبِّ الذى لك فى قلبى

---

(١) كان المعتمد قد جهز جيشا للتغلب على أمر مرسية وإخراج ابن طاهر ، وجعل قيادته لابن عمار ، فلما تغلب عليها ابن عمار سول له رأيه أن يستبد بالأمر وأن يضبطها لنفسه ، «فعمل الحيلة حتى بيع ما أراد وطمع فى بلنسية ، ثم حدث أن قام ابن رشيق أحد رجالات مرسية — وكان ابن عمار خارج المدينة — فدعا لنفسه فيها ، فلما جاء ابن عمار حاصرها ولكنها امتنعت عليه فهرب حتى لحق بنى هود ، ولكنهم ماليثوا أن حاقوه فأخرجوه ، فأخذ يجوب البلاد إلى أن دفع إلى حصن شقورة وكان عليها ابن المبارك فقبض عليه ووجه به ، فلما رأى ابن عمار ذلك طلب منه أن يكتب إلى ملوك الأندلس شأنه فيمن يرغب فيه ، وكان فى جملة من كتب إليهم ابن عباد المعتمد ، فبعث إليه بجماعة من رجاله عليهم ابنه الراضى ، فقادوه أسيرا سنة ٤٧٧هـ (الذخيرة ٢ : ١١٤ والمعجب ٨٥) .

(٢) النص من الذخيرة (٢ : ١١٠) .

فأجابه المعتمد بقوله [1] :

تَقدَّم إلى ما اعتَدت عندى من الرِّضْب ... وردْ تلقَك العُتبى [2] حجاباً من العَتْب

متى تَلْقَنِي تلق الذى قد بَلَوْتَه ... صَفُوحاً عن الجانى رءوفاً على الصَّحب

سأُولِيك منّى ما عهدتَ من الرِّضا ... وأعرِضُ [3] عمّا كان إن كان من ذنب

فما أشعرَ الرحمنُ قلبىَ قسوةً ... ولا صار نِسيانُ الأذِمّة من شَعْبى

تكلّفتُه ، أبغى به لك سَلوةً ... فليس يجيد الشعر مُشْتَرَك اللُّبّ

وذكر الفتح فى قلائد العقيان [4] أن المعتمد أجاب ابن عمار على القصيدة المتقدمة [5] بهذه الأبيات :

لدىَّ لك العُتبى تُزاح عن العتب ... وسعيُك عندى لا يضافُ إلى ذنبِ

وأعزِزْ علينا أن تُصيبك وحشةٌ ... وأنسُك ما تدريه فيك من الحبّ

فدَع عنك سوء الظّنّ بى ، وتَعَدَّه ... إلى غيره ، فهو المُمَكَّنُ فى القلب

---

(١) هذا النص من الذخيرة (ا ٣ : ١٠١) والمجموع ا (ص ١٩٤) ، وخلة السيراء نقلا عن دوزى ٩٢

(٢) العتبى : الرضا .

(٣) فى الخلة : « وأصفح » .

(٤) انظر قلائد العقيان ص ٩٧

(٥) وفى رواية عن أبى عامر الحكيمى المرقشى — أن هذه الأبيات التالية هى ما فى جواب عن قصيدة أنفى بعث بها ابن عمار ومطلعها (تأوّك قصدى ثم أعوج مع الوكف) ودخل حين أرتجل زعيم رشوانة الرشيد بن المعتمد سنة ٤٧١ هـ وطن ابن عمار فى ذلك سببا . (الخلة السيراء ٢ : ٩٢) .

قريضُك قـد أبدى توحُّشَ جانبٍ فراجعتُ[1] تأنيسًا، وعلمُك بى حسبى
تكلفتُـه أبـغى بـه لك سـنوةً وكيف يعانى الشعرَ مشـتركَ اللبِ

وحينما كانت جيوش المسلمين بالأندلس ، مع حيفهم يوسفَ بنِ تَاشفين تستعدُّ لخوض معركة الزَّلاقة، أمر المعتمدُ منجّمَه أبا بكرِ بنِ يحيى الخولانى بأخذ طالع الوقت والنظر فيه . فوجده أوفق طالع . فكتب المعتمد إلى يوسفَ بهذه الأبيات[2] :

غزوٌ عايـك مبـاركٌ فى طيِّه الفتحُ القريب
لله سـيفُـك إنّـه مُحطٌّ على دين الصليب
لا بدّ من يـوم يكو ن له أخٌ يوم القَليب[3]

قافية الدال

وكتب إلى الوزير أبى عُمر[4] :

فُديتَ أبا عُمرٍ، من فتًى متى يُخْبَرِ غيبُه يُحمـد
وداد صحيحٌ ، وخُلقٌ مليح ونطقٌ فصيحٌ لدى المَشْهد

(١) فى الحلة السراء « بجوب » .
(٢) هذا النص من كتاب الحلل الموشية ص ٤٠
(٣) يوم القليب : يوم بدر .
(٤) هذا النص من المجموع أ (٢١٦) .

أتتنى البديهةُ تَنـدَى بديعاً وأبدعُ ما فى الرّياض النّدى
أزاهرُ لم تُنتَشَق بالأنو ف لُطفاً . ولا جُنيَتْ باليد
خَجِلتُ لشكواك فى طيّها فما كدت أسمعُ للُنشد
وقد عُبّرت لك تلك الرُّؤَى نَيَشبَع طاوٍ . ويروَى صد
فهوّن عليك من النائبا ت ، إذا كان نَصْرِىَ بالمرصد
وكن مُخبرى . إننى سائلٌ سؤال مُدِلٍّ . على مُسعِد
لَجاءتك صفراء عندَ المنا م . تَسرى من الأُفق الأبعد
فلاقتك بالنّفس النّرجسىّ ورَاقَتْكَ[1] بالملبس العسجدى
وعلّتك بالرّيق . لو أنه أُتيحَ لذى الزّهد ، لم يزهد

وكتب إلى ابن زيدونَ معاتبا[2] :

وعدتَ وأخلفتَنى الموعدا وخالفتَ بالمنتهى المبتدا
وأطمعتَنى ، ثم أيأستنى ويمنعُنى الودُّ أن أحقدا
وأضعفت بالمطل حبلَ الرّجا ء ، فرثّ ، وأعهدُه محصدا
وعاد ضياءُ ارتقابى ظلاماً وأصبح مصباحه أرمدا

(١) فى الأصل " ولاقتك " وعلى هامشه " ولاقتكَ " .

(٢) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٣

وكان فعالُك قبل المقـ ـل ، فماذا عدا الآنَ فيابَدا !!

وقد كان ظنّيَ فيما رأيتُ به أنه الشيخ غَلَّ اليدا

وكم قد توكّفتُه روضةً تقرّب لى الأملَ الأبعدا

ينـــوّرُ علمُك أرجاءه ويقطُر طبعُك فيه ندى

توكّفها زمنًا ناظرى إذا مر يومٌ ، تمـادى غدا

على ذاك أفديك من ماجدٍ تشبّثَ بالظرف فيه الهدى

فحينـا أزورُ به روضةً وحينا أحيّى به مسجدا

لك العلمُ مهما أُرِدْ بحرَه لأروَى به ، أحمَدُ المورِدا

وفيـــك تجمّعت المأثُرا تُ ، ضرّا ، فصرتَ بها مفردا

شمائلُ تَنثُر شملَ الهمو م ، تَرَكَ بالرأى شملَ العِدا

فمتّعنى الله باللحظ منـــك لازلتَ لى مؤنسا سرمدا

ودمتَ ودمنا على حالنا كما يصحبُ العنقودُ الفرقدا

فلو لاك كانت ربوعُ السرورِ رِمنًّى ، تجاوبَ فيها الصدى

فأجابه ابن زيدون بقصيدة مطلعها[2] :

أفاض سماحُك بحر الندى وأقبس هديُك نورَ الهدى

---

(١) فى الأصل "منى ، بل" تحريف .

(٢) تمام القصيدة بديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٤

قافية الراء

وحكى الدّانى أن المعتصم بن صمادح كتب إلى المعتمد :

شكرى لِبِرِّك شكرُ الروض للمطرِ ... ونفحُ بشرى به أذكى من الزهرِ

وجاءنى مخبرٌ عنه فقلتُ له ... بالله . قل . وأعِد . ياطيّبَ الخبرِ

ياواحداً . عَلَمٌ . فى كل منقبةٍ ... جلّت . ويا ثالث للشمس والقمرِ

لئن حُرمتُ لقاءً منك أشكرُهُ ... لقد حَلَلتَ سوادَ القلب والبصرِ

فراجعه المعتمد بقوله :

أنفحةُ الروضِ رقّت فى صَبَا السَّحَرِ ... من بعد ما باتَ والأنداءُ فى سَمَرِ

لا ، بل تحيــةُ محضِ الوُدّ بَلّغها ... برٌّ شريفُ المعالى ماجدُ النّفرِ

أمَا لعمرُ أبى يحيى . لقد وصلتْ ... من برّه صلةٌ أحلَى من الظّفرِ

يامن وَردتُ الوفاء الغَمْر مرتوياً ... من عهده ، إذ يُساقَى الناسُ بالغُمَرِ[1]

أحرزتَ سَرْوَ السَّجايَا ، ثم قارنَهُ ... ظرفُ اللّسانِ اقترانَ الكأسِ بالوترِ

إذا اعتبرتُ من الأخلاق أنفسَها ... كُنتَ المنافَسَ فيه السّامىَ القدرِ

عليك منّى سلامٌ لا يزال له ... فَرضٌ تُؤدّيه آصالٌ إلى بُكَرِ

---

(١) النص من الحلة السيراء (نقلا عن دوزى فى تاريخ بنى عباد ٢ : ٨٥) .

(٢) الغمر : القدح الصغير .

وقال[1] :

ترفَّقْ يا أبا بحرٍ ومن ظَفِرتْ كفٌّ به . فدعانى فضلُه الظَّافِرْ
إن حالَ ما بيننا ريحانُنا الناضِرْ فناظرُ القلب حقًّا نحوكم ناظرْ
أحمى مكانَك من قلبى . وأمنَعُه كما حَمى لحاجبُ الإسلامَ بالباترِ

قافية السين

وكتب بهذين البيتين إلى ذى الوزارتين أبى الوليد بن زيدون . وكان مجلسه منحطًّا عن مجلسه فى القعود إنفاذا لأوامر أبيه المعتضد[2] :

أيُّها المنحطُّ عنّى مجلسًا وله فى النفس أعلى مَجلِسِ
بفُؤادى لك حبٌّ . يقتضى أن ترى تُحمَلُ فوقَ الأرؤُسِ

فكتب إليه ابن زيدون :

أسقيطُ الطَّلِّ فوق النَّرجِسِ أم نسيمُ الرَّوضِ تحتَ الحندسِ
أم نظامٌ للآلِ تَسَقٌ جامعٌ كلَّ خطيرٍ مُنفسِ
أم قريضٌ جاءنى عن مَلِكٍ مالكٍ بالبرِّ رِقَّ الأنفُسِ[3]

(١) هذا النص من المجموع ١ (ص ٢١٨) .
(٢) النص من رواية القلائد ص ٧ والمجموع ١ ص ١٠٤
(٣) انظر تمام الأبيات فى ديوان ابن زيدون .

وكتب إلى بعض ندمائه[١] :

لولا عيونٌ من الواشين ترمُقُني ... وما أحاذِرُه من قولِ حُرَّاسِ
لزرتكُم . لا أُكافيكُم بجفوتكم ... مشيًا على الوجه، أو حَبوًا على الرَّاس

قافية الضاد

وقال[٢] :

أبا الوليد[٣] تجاوَزْ ... وهَبْ لنا التَّغميضَا
واقبَلْ جوابًا على نظـ ... ـمك الصحيح مريضَا
زَفَفتَ نحوى عروسًا ... تجابُ روضا أريضَا
جلوتَها فى سوادٍ ... تجلُو المعانِيَ بيضَا
وقد مَنَحتُك نزرًا ... لا حقَّك المفروضَا
وسوفَ أرفعُ جَهدِى ... من قَدرِكَ المخفوضَا

قافية الكاف

وقال[٤] :

يا قمرًا أفقُه فؤادى ... مقالةٌ لم تُشَب بإفكِ
ومن غدا مستَرِقَّ حُرِّا ... كلام قد حازَهُ بملكِ

---

(١) النص من خطيبى الذخيرة ١ : ١١٠ ق ، ٢ : ١٤ وابن خلكان ٢ : ١١٢ وقلائد النحر ٢ : ٦٣٣

(٢) النص من المجموع ١ (٢١٦) .

(٣) أبو الوليد كنية ثلاثة من الشعراء هم : ابن زيدون والنحل وابن العم .

(٤) هذا النص من المجموع ١ (٢١٠) ونرجح أنه فى ابن زيدون .

نثرتَ دُرَ القريض نثرًا يقومُ ذهنِي له بسلكِ
فقلت لله درُّ ذهنٍ يُخرِجُ درًّا من بحر فكّ
وجئت الطيرُ مُودَعات سرَّك. ياسرَّ كلِّ مَلكِ
بيتان دلّا على وِدادٍ محضتَه لى . بغير شكّ

وقال[1] :

أمَطلعَ زُهرِ نُجومِ الكلام ومَشرِقَه من خلال الحَلَكْ
أتاكَ قريضُك واهمٌ حتى لديكَ . فأمسَى به قد هلَكْ
فهاك مَوارِدَ ودٍّ صفَتْ يَعُلُّك فيها الذى أنهَلَكْ

قافية الميم

وكان الوزير ابنُ الإصبغ بن أرقم . رسول المعتصم بنِ صُمادحَ إلى المعتمد، قد بات على قرب من إشبيلية . وأعلمه أنه وافد عليه صبيحة غَد، وكتب له فى ذلك شعرا منه :

يامالكا . عظّمته العُربُ والعَجمُ وواحدا وهو فى أثوابه أُمَمُ
إنّا وَردْناك والأقطارُ مظلمةٌ والبدرُ يرجى إذا ما انتَخَتِ الظُّلَمُ

---

[1] هذا النص من المصدر نفسه (٢٠١) .

فكتب إليه المعتمد[1] :

أهلاً بكُم . صحبتكُم نحوىَ الدِّيَمُ ... إن كان لم يَتَبَحَّح[2] لى بكُم حُلُمُ[3]

خُضْنا المطىَ ونو ليلاً بمَجْهَلَةٍ[4] ... فلَن تَضِلُّوا . ومن يشرى لكم عَلَمُ

لأنتُم[5] القومُ، إن خَطُّوا يُجِدْ قَلَمٌ ... وإن يَقُولُوا يُصب فَصلَ الخطاب فمُ

لا عىَّ[6] إن رقَمُوا كُتبًا ؛ ولا حَصَرٌ ... إذ يَنْتَدُون ، ولا جورٌ إذا حكَمُوا

أقدِمْ أبا الإصبغ المودودَ[7] تلقَ فتًى ... هشَّ الموذَّة، لا يُزرى[8] به سأَمُ

هذا فؤادىَ . قد طار السرورُ به ... أن كنتَ تنتُلك الوخَّادةُ[9] الرُّسُمُ[10]

سأكتمُ الليلَ ما ألقاه من بعدِكُ ... وأسألُ الصُّبحَ عنكم حين يبتسمُ

(١) هذا النص من قلائد العقيان ص ٨ والذخيرة ١ : ١١٢ ق ب ٢ : ١٤ والمجموع ١ (٢٠٦) ونفح الطيب (مصر ١١٣٣) .

(٢) قال ابن زاكور فى تزيين قلائد العقيان (ص ٣١) "يوجد فى النسخ بحاءين مهملتين وهو حينئذ مضارع نجح إذا تمكن فى المقام والخطوب . والمعنى على أن حلمه أو قومه الذى يشبه الخير ويترتب عليه لم يتمكن ولم يستقر سرورا بقدومه . ويصح بجيم فى آخره مضارع نجح مضارع بجحه أى فرحه وإسناده إلى الخير مجاز ..." وانظر اللسان والقاموس (بحح وبجح) .

(٣) فى المجموع « وحان أن يتسنى فى بكم حلم » . ويتسنى يتحقق . والمعنى حينئذ : وحان أن تحقق أحلامى بقربكم .

(٤) المجهلة كمرحلة : أرض لا أعلام فيها .

(٥) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده من القلائد والمجموع .

(٦) فى المجموع « لا لحن » . والعى : الحصر إلا أن هذا يزيد عليه باستعماله فى ضيق الصدر . وانظر ابن زاكور فى تزيين القلائد .

(٧) فى المجموع « المحبوب » .

(٨) يزرى : مضارع أزرى أى أدخل عليه عيبا .

(٩) الوخادة : مبالغة من الوخد وهو السير السريع .

(١٠) رسمت الناقة ترسم رسيما : أثرت فى الأرض لشدة وطئها . والرسيم ضرب من السير السريع .

وكتب إلى ابن عمار مادحاً حين سعى به إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[1]

يا من تَمَرَّسَ[2] بي يريد مَسَاءتي ... لا تعرِضَنَّ[3] . فقد نصحتُ لمُنْدِمِ[4]
من غرَّه مني خلائقُ سهلةٌ ... فالسُّمُّ[5] تحت لَيَانِ مَسِّ الأرقَمِ

وكتب الوزيرُ الكاتب أبو الوليد[6] بن المعلّم إلى المعتمد[7] :

أيَّدكَ الله إنَّه يَوْمُ ... تُحجَبُ فيه الصَّلاةُ والصَّوْمُ
وتُعقَرُ الرَّاحُ غيرَ وانيةٍ ... لا عارَ في عَقْرِها ولا لَوْمُ
فانشَطْ إليه فإنَّه أَمَلٌ ... يَبْلُغه في نَدِيِّكَ القَوْمُ
لازلتَ مُستيقِظَ السُّعودِ لنا ... وعنكَ ، في أعين الرَّدى ، نَوْمُ

---

(١) هذا النص من القلائد (١٤) وخريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

قال المراكشي في المعجب " كان المعتصم قديم الحسد لابن عمار كثير السعاية عليه ، لكن في ملوك الجزيرة من يتناوله بيده وربما كانت بينهم في بعض الأوقات مراسلات قبيحة . وكان المعتصم يعيبه في محالفته ويقال منه ... ولما اشتد تمكن المعتصم من يوسف بذل له أن يسعى في تنويه فنبه على المعتمد وإفساد ما بينهما " وانظر المعجب (٩٥ - ٩٦) .

(٢) تمرس بالشيء وامترس : احتك به . وفي قلائد العقيان « لا تعرض لي » .

(٣) نرى أنه من (عرض) وابن زاكور يخطئه من « أعرض » فيقول :

" الأليق بضبطه وتفسيره أن يكون مضموم الضاد مكسور الراء وكذا بنون مشددة مضارع أعرض : ذهب عرضا وطولا والمراد الذهاب في التخريب والإفساد بينه وبين يوسف كل مذهب . فنهاه عن ذلك إذ اوا وتحذيرا من وبال عاقبة ذلك ... " .

(٤) مصدر ميمي بمعنى النوم ويصح أن يكون بمعنى اسم الفاعل .

(٥) " فالسم ... إلى آخره " أقيم مقام محذوف . والمعنى من غره مني خلائق سهلة . فهو مغرور مخدوع .

(٦) أحد وزراء المعتضد بن عباد والد المعتمد وممن اشتهر بالاحسان في صناعة النظم والنثر ورسيله يشهد بغزارة حفظه وبمكنه من الرواية . وانظر الذخيرة (٤ : ١٤) .

(٧) النص من المجموعة (١٩٥) .

فأجابه المعتمد :

خُمْتَ بخفّاقةِ الجناحِ . وقدْ أمكنَ وِردٌ . فلا يَطُلْ حَوْمُ
وسُمتَ في الطيبِ والسرورِ فتًى لم يَزرِ يومٌ بطيبه سَوْمُ
وها هو الجنسُ المعدُّ لكمْ فادخُل إليه . وليدخل القَومُ
إلى كئوسٍ لو شاء شاربُها يعوم فيها لأمكن العومُ

قافية النون

وقال[1] :

دُرًّا بعثتَ مفصّلاً بجُمانِ أو روضةً مسكيّةَ الرَّيحانِ
لا بل عروسًا قد زَفَفتَ . تولّدت ما بين فكرٍ ناقدٍ وبَنانِ
سمعًا لأمرك . إذ دعوتَ إلى الّتي تدعُ القلوبَ قليلةَ الأحزانِ
أمّا الكئوس فقد جرَتْ ما بيننا بيدَيْ غزالٍ ساحرِ الأجفانِ
خَنِثٍ يُسقّيني المُدامَ بطرفه وبكفّه ؛ ومتى أشَا غَنّاني
فعلاً، لعمرك . لم أكن لأُضيعَه لا تحسبنّا من بني سهوانِ

وقال[2] :

للّهِ درُّ أبي السُّنانْ من فارسٍ شَهمِ الجنَانْ
تخشاهُ آسادُ الرّجا لِ . كما تهيمُ به القيانْ
فبأسه يُشقِي العِدا وبحسنِه يُصبي الحسَانْ

(١) النص من المصدر السابق ص (٢٠١) .
(٢) النص من المصدر السابق ص (٢٠٨) .

وكتب إلى ابن شلتغيو[1] :

يا كريمَ المحلّ فى كلّ معنًى ... والكريمُ المحلُّ ليس يُعنَّى

هذه الخمرُ تَبتغيك ، فخُذها ... أوفدَعها ، أو كيفما شِئتَ كُنَّا

قافية الهاء

كتب المعتمدُ إلى ابن زيدون ، بعد أن فكّ معتمى كتب به ابن زيدون إليه[2] :

العين بعدك تَقْذَى بكلّ شىء تَراهُ

فَلْيَجْلُ شخصُك عنها ما بالمغيب جَنَاهُ

قافية الياء

وكتب إلى ابن عمّار[3] :

لمّا نأيتَ ، نأى الكرَى عن ناظرى ... ورَدَدْتُهُ[4] ، لما انصرَفْتَ عليه

طلبَ البشيرُ بشارةً يُجزَى بها ... فوهبتُ قلبى ، واعتذرتُ إليه

---

(١) النص من نفح الطيب وانظر ما سيأتى فى ص (٥٠) .

(٢) النص من المصدر نفسه (أوروبا ٢ : ٦١٧) ومصر (١١٣٣) .
وانظر المعميات بين ابن زيدون والمعتمد .

(٣) النص من المطرب ص ١٤ والخريدة (١١ : ٤٠٦) والمجموع أ (١٩٩) .

(٤) فى المجموع « وصرته » .

وأدخل عليه يوما بعض فتيانه ، كورة نرجس ، فكتب إلى ابن عمار يستدعيه [1] :

قد زارَنا النّرجسُ الذكيُّ ... وحانَ من يومنا العَشِيُّ
ونحن في مجلسٍ أنيقٍ ... وقد ظَمِئْنَا ، ونِمْ رِيُّ
ولي خليلٌ غدا سَمِيّي ... يدنيه ساعدَ الشّمِّ

فأجابه ابن عمار :

لَبّيك ، لَبّيك ، من منادٍ ... له النّدَى الرّحبُ والنّدِيُّ
هأنا بالبابِ عبدَ قِنٍّ ... قبّلتُهُ وجهُكَ السَّنِيُّ
شرّفه والداهُ باسمٍ ... شرّفتَه أنتَ والنّبيُّ

---

(١) هذا النص من الخريدة (١١ : ١٤٦) والمطرب ص ١٣ ، وتطفل الذخيرة (٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) ونفح الطيب مصر (١١٥٥) .

(٦)

فخـــر

قافية الراء

وقال [١١] :

الجودُ أحلَى على قلبى من الظَّفَـر ... ومن مَنـال قَصِىِّ السُّـؤْلِ والوَطَر

ومن غِناء أُرَيْوَى فى الصَّبوح لدَى ... طَلْعَةِ الشَّمس فى الآصال والبُكَرِ

وقد حَنَنْتُ إلى ما اعتدتُ من كرمٍ ... حنينَ أرض إلى مستأخِر المـطَرِ

وقد تناهتْ يدى عن كأسِها غضَبًا ... وبحتُ الأُذنُ أيضا نغمةَ الوتَرِ

حتى أُمَلِّكَ هـذى ما تجـودُ به ... وأسمعَ الحمـدَ بالأخرى على الأثَر

فهاتِها خلعًا أُرضى السماحَ بها ... محفوفةً فى أكفّ الشُّرْبِ بالبِـدَرِ

قافية القاف

وقال [١٢] :

من عَزا المجـد إلينا قد صـدَق ... لم يُلِمَّ من قَال ـ مهما قال حـقّ

قافية اللام

وقال بعد أن استولى على قرطبة [١٣] :

مَنْ للمـلوك بشأو الأصيد البطلِ ... هيهـاتَ ـ جاءتكُمُ مهـدِيَّةُ الدُّولِ

خطبتُ قرطبةَ الحسناءَ ، إذ مَنَعتْ ... من جاءَ يخطُبُها ، بالبيض والأسَل

---

(١١) هذا النص من المجموع ا (١٩٩) .

(١٢) انظر القصيدة فى قافية القاف فى شعره فى الأسر .

(١٣) هذا النص من قلائد العقيان ص ١١ ، ونفح الطيب (أزهار ١ : ٢٩٧) .

وكم غَدت عاطلًا حتى عَرَضتُ لها ... فأصبحتْ فى سَرِىِّ الحَلْى والحُلَلِ

عِرْسُ[1] الملوكِ لنا فى قصرها عُرُسٌ ... كلُّ الملوك به فى مأتم الوجِلِ

فراقبوا عن قريب . لا أبالكمُ ... هجومَ ليثٍ . بدرع البأس مشتَمِلِ

قافية الميم

ورُفع إلى المعتمد صدر دولته شعرٌ عُزِى إلى بعض الوزراء والكُتّاب ، يُعرّض بأبى الوليد بنِ زيدون[2] ، وأوّله[3] :

يأيُّها الملكُ العَلىُّ الأعظمُ ... اقطَعْ ويدَىْ كلِّ باغٍ يَنأمُ

---

(١) العرس بالكسر : امرأة الرجل ، والعرس بضمتين طعام الوليمة ، وأضاف عرس فى أول البيت إلى الملوك إشارة إلى أن كل ملك يجب أن تكون له ، ويرجح هذا قوله قبل ذلك " حطبت قرطبة لحطاب إذ نعت " .

(٢) من أشهر شعراء الأندلس ، وقد وزر فى أول عهده لأبى جهور بقرطبة ثم نالته منه محنة فخرج من قرطبة سنة ٤٤١ وأفد على المعتضد بن عباد بإشبيلية فاستوزره وعلت رتبته عنده فكان من خواصه ومقربيه ، فلما توفى المعتضد سنة ٤٦١ وتولى المعتمد ظلت استوزره إلى أن توفى ابن زيدون سنة ٤٦٣ هـ .

(٣) النص من الذخيرة ١ ٢ : ٤١٣ ، ب ٢ : ٦٦ ، ولافتة القيان ص ١٥

فلما قرأها المعتمد : عرف الغرض الذى إليه قصدوا ، ووقّع على ظهر الرّقعة بهذه القطعة :

كَذَبَتْ مُناكم : صَرِّحوا أو جَمْجِموا ... الدّين أمتَنُ ، والمروءةُ[1] أكرمُ
خُنتم ، ورُمتم أن أخُون ، وإنما[2] ... حَاوَلتُمُ أن يُستَخَفّ[3] يَلَملَمُ[4]
وأردتمُ تضييقَ صدرٍ لم يَضِق ... والسّمرُ فى ثُغَر النّحور[5] تُحطَّمُ
وزحفتُم[6] بُحالِكُم مجرّب ... ما زال يثبُتُ فى المجال فيَهزِمُ
أنّى رجوتُم غَدرَ من جرّبتُم ... منه الوفاءَ ، وجورَ[7] من لا يظلِمُ
أنا ذاكُم[8] ، لا البغى يُثمر غرسه ... عندى ، ولا مَبنى الصّنيعةِ يُهدَمُ
كُفّوا ، وإلا فارقبوا لى بَطشةً ... يُلْقَ السّفيهُ بمثلها فيُحلَّمُ[9]

---

(١) فى قلائد العقيان « والسجية » .

(٢) فى المصدر نفسه « وربما » .

(٣) يقال : استخف فلانا عن رأيه : حمله على الجهل والخفة وزاله عما كان عليه من الصواب .

(٤) اسم جبل على مرحلتين من مكة .

(٥) هذه رواية القلائد ، وفى الذخيرة « الصدور » .

(٦) فى قلائد العقيان « ورجعتم » .

(٧) فى المصدر نفسه « وظلم » .

(٨) فى المصدر نفسه « أن ذلكم » .

(٩) يقال : حلمه تحليما كعلمه تعليما : جعله حليما أو أمره بالحلم .

(٧)

رثاء

قافية الدّال

وقال من قطعة يرثى فيها سعدا ابنه[1] :

إذا كانَ قد أودى الزّمانُ بمثلِهِ ... ولم يَبق فى عَودٍ له طمَعٌ بعدُ
فلا بُتِرَت بُترٌ ، ولا قُنِيت قَنًا ... ولا زأرت أُسدٌ ، ولا صهَلت جُردُ
ولازال ملذُوعاً على سيّدٍ حشًا ... ولا انفَكَّ ملطُوما على مَلِك خدُّ

قافية الرّاء

وقال يرثى ابنيه المأمونَ[2] والرّاضىَ[3] وقد رأى قُمرية نائحة على سكنها ، وأمامَها وكر فيه طائران يردّدان نغما[4] :

بكَتْ أن رأت إلفَين ضمّهُما وكرُ ... مساءً ، وقد أخنى على إلفها الدّهرُ
بكَتْ ، لم تُرِق دمعاً ، وأسبَلتُ عَبرةً ... يُقصّرُ عنها القَطرُ مهما هَمى القَطرُ

---

(1) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٢) .

(2) المأمون لقب عباد بن المعتمد ويكنى أيضا أبا الفتح وأبا نصر ، وهو أكبر أولاد المعتمد ، استخلفه أبوه على قرطبة بعد تغلبه عليها وإخراج ابن عكاشة منها وقلده بيده انتقاما منه لسراج الدولة بن المعتمد الذى قتل سنة ٤٦٨ هـ وظل المأمون على قرطبة إلى أن زحف عليها أحمد جيوش يوسف بن تاشفين بقيادة أبى عبد الله بن الحاج فقتل بعد دفاع مجيد عنها فى (صفر سنة ٤٨٤ هـ) .

(3) الراضى لقب يزيد بن المعتمد ، كان والى الجزيرة الخضراء من قبل أبيه قبيل اجتياز يوسف للأندلس ، وهو الذى قبض على ابن عمار فى شقوره سنة ٤٧٧ وكان والى رندة إلى سنة ٤٨٤ ، وظل معتصما بها مدافعا عنها الجيش الثانى ليوسف بقيادة جرور القوفى إلى أن قتل فيها بعد أخيه المأمون بقليل .

(4) النص من خطيق الدخيرة (٢ : ١٨ ق ب ٢ : ٢٢) ونفح الطيب ونزهة (٢ : ٦٠٢) والقلائد ٢١ .

وَاحت وبَاحت ، واستَراحت بِسِرِّها ... وما نطقت حرفاً ، يبوحُ [1] به سِر
فـإلَى لا أبكى ! أم القلبُ صخرةٌ ... وكم صخرةٍ فى الأرض يجرى بها نهرُ
بكَت واحداً لم يُشجِها غيرُ فقده ... وأبكى لألَّاف ، عـديدُهُم كُثْرُ
بَنِيَّ ، صغيرٌ ، أو خليلٌ مُوافِقٌ ... يُمزِّق ذا قَفْرٌ ، ويُغرق ذا بَحْرُ
ونجمان ، زينٌ للزمان ، احتواهما ... بقرطبةَ النكداء ، أو رُندةَ ، القبرُ
غَدرتُ [2] إذًا إن ضَنَّ جَفنى بقطرِه ... وإن لُمت نفسى ، فصاحبَها الصَّبرُ
فقُل للنجوم الزُّهر تبكيهما معى ... لِمثلِهما فلتحزَن الأنجمُ الزُّهرُ

وقال يرثيهما ويذكر ابنه سراج الدولة أبا عمرو [3] :

يقولون صبرا ، لا سبيل إلى الصَّبر ... سأبكى وأبكى ما تطاولَ من عُمرى

قافية النون

وقال يندب ابنيه [4] :

ياغيمُ [5] ، عَينىَ أقوى منك تَهتانا [6] ... أبكى لحزنى ، وما حُمِّلتَ أحزانا
ونارُ برقِك تخبُو إثرَ وقدَتِها ... ونارُ قلبِىَ تبقَى [7] الدهرَ بُركانا

---

(١) رواية فتح العين « يباح » وكلتاهما بمعنى يظهر .
(٢) فى الذخيرة « غدرت » ، وفى القلائد « عذرت » وما أثبتنا من الفتح .
(٣) انظر هذه القصيدة الرائية فيما أيضا فى شعر الأمير .
(٤) النص من خطتى الذخيرة (أ ٢ : ١٩ وب ٢ : ٢٢) وبعضه فى خريدة القصر (١١ : ١٥٢)
(٥) فى الذخيرة « يا عين » تحريف .
(٦) فى الذخيرة « يهنانا » تحريف .
(٧) فى الفتح قسمه « يبق » ولعل ما أثبتناه أولى .

نار وماءٌ صميمُ القلبِ أصلُهما ... متى حوى القلب نيرانا وطوفانا

ضدّان ، ألّف صرفُ الدّهر بينهما ... لقد تلوّن فى الدّهرُ ألوانا

بكيتُ فتحاً ، فإذْ ما رُمتَ سلوته ... ثوى يزيدُ . فزادَ القلبَ نيرانا

يا فلذّتى كبدى يأبى تقطّعها ... من [1]وَجْدها بكما ماعشتُ ، سُلوانا

لقد هوى بكما نجمانِ ما رَمَيَا ... إلّا من العُلْو بالألحاظِ كيوانا

مُخفّفٌ عن فؤادى أنّ ثُكلَكما ... مُثقّلٌ لى يومَ الحَشْر ميزانا

يا فتحُ ، قد فتحتْ تلك الشهادةُ لى ... باب الطّاعةِ فى لُقياك جذلانا

ويا يزيدُ ، لقد زاد الرّجا بكما ... أن يشفَع اللهُ بالاحسان إحسانا

لمّا شَفَعت أخاك الفتحَ تتبعه ... لقّاكما الله غُفراناً ورضوانا

منّى السّلامُ ، ومن أمّ مفجّعة ... عليكما أبدا ، مثنى ووُحدانا

أبكى وتبكى ، ونُبكى غيرَنا أسفٌ ... لدى التّذكّرِ ، نسوانا وولدانا

---

[1] فى المصدر السابق « عن » .

(٨)

تهكُّم

قافية الراء

قال ابن عمّار فى بنى عبد العزيز[1] مغريا بهم وخاطبا لنفسه ، فى الاستيلاء على بلنسية — قصيدة طويلة ، نحلها ابن المطرز الشّاعر ، وأوّلها[2] :

بشّر بلنسيةً وكانت جنّة أن قد تدلّت فى سَواء النّار

ومنها :

كيف التّفلّتُ بالخديعة من يَدَىْ رجُلِ الحقيقةِ ، من بَنى عمّارِ
رجلٍ ، تَطعّمه الزمانُ ، فجاءه طَرَفين ، فى الإحلاء ، والإمرارِ
سَلِس القيادِ إلى الجميل ، فان يُهَج فَدع العِنان لهبّةِ البتّارِ
طَبِنٍ بأغراض الأمور ، مجرّبٍ فَطِنٍ لأسرار المكايد دارِ
كشّافِ مُظلمة ، وسائسِ أُمّةٍ نَفّاعِ أهل زمانه ، ضرّارِ
شرّابِ أكواس المُدام ، وتارة شرّابِ أكواس الدّم المهدارِ
جرّارِ أذيال القنا ، ظُنّوا به قد زاركم فى المحفل الجرّارِ

---

(١) بنو عبد العزيز : امراء بلنسية .

(٢) النص من الذخيرة (٢ : ١١١) وما بعدها والحلة السيراء ص ١١٥ ، وما بعدها . وكان ابن عمار بعد أن ضبط أمر مرسية قد طمع فى بلنسية . وانظر ما ذكرناه فى الرسائل ص ١ .

فلمّا سمع المعتمد هذا القصيد ، وقرع سمعَه فخارُ ابنِ عمّار[1] بقوله: كيف التفلّت بالخديعة ... قال معرّضا به :

الأكثرين مسوّدًا . ومُملّكًا ... ومتوّجًا ، فى سالفِ الأعصارِ

المكثرين من الكِباء[2] لنارهم ... لا يُوقدون بغيره للسّارى

والمؤثرين على العيال بزادهم ... والضّاربين لهامة الجبّارِ

الناهضين من المهُود إلى العُلا ... والمُنهضين الغَارَ بعد الغارِ

إن كُوثروا كانوا الحصَى أو فاخَروا ... فَمَنِ الأكاسرُ من بنى الأحرار

يُضحِى مؤمّلُهم يُؤمّل سيبُه ... ويبيتُ جارُهم عزيزَ الجارِ

تبكى عليهم شَنْبُوس بعبرةٍ ... كأتيِّها[3] المتدافِع الثّرّارِ

يبكى لها القصرُ المنيفُ تلألأت ... شُرفاتُه فى خُضرة الأشجارِ

ماضا حكَتْه الشّمسُ إلا خِلتَه ... نُضِحت جوانبُه بماء نُضارِ

تبكى القيانُ تجاوبت أوتارُها ... فى ساحتَيه تجاوبَ الأطيارِ

ياشمسَ ذاك القصر، كيف تخلّصت ... فيه إليك طوارقُ الأقدارِ

لما تَنَلْكِ شَعُوبُ ، حتّى جاوزت ... غُلبَ الرّجال وسامىَ الأسوارِ

---

(١) هو محمد بن عمار ويكنى أبا بكر. أصله من قرية من أعمال شلب يقال لها شنبوس . مولده ومولد آبائه بها . كان خامل البيت ليس له ولا لأسلافه فى الرئاسة فى قديم الدهر ولا حديثه حظ » المعجب (٧٩) .

(٢) الكِباء ككساء : عود البخور .

(٣) الأتى : السيل .

كم كان من أَسدٍ هنالك خَادِرٍ ... لك حارِسٍ ، بأسِنَّةٍ وشِفَارِ

مِنْ قومِك الزُّهرِ الوجوه ، إذا الوغى ... كسَت الوجوهَ الغُرَّ ثوبَ القَارِ

من كلّ أشوسَ[1] خائضٍ فى لجّة ... نحو الكُمَاة ، بشعلة من نارِ

لمّا نماهم للعلا عمّارُهم ... تركُوا العُداةَ قصيرة الأعمارِ[2]

---

(١) الشوس محركة : النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا .

(٢) روى ابن بسام أنه حين بلغ ابن عمار شعر المعتمد هذا ... قال حد صيره وشاعت فى الناس أشعار عزيت بل ابن عمار فى المعتمد وآله وذويه» وانظر الذخيرة (١ ٢ : ١١١) .

(٩)

الاجازة

ركب المعتمدُ يوما فى النّهر ، ومعه ابنُ عمّار وزيرُه ، وقد زرّدت الرّيح النّهر ، فقال ابن عباد لابن عمّار : أجز : (صنع الزّيحُ من المـاء زَرَد) . فأطال ابنُ عمّار الفكرة ، فقالت امرأة : (أىُّ درع لقتال لو جَمَد) ، فتعجّب ابن عباد من حسن ما أتت به[1] .

وركب ، للتّنزّه بظاهر إشبيلية ، فى جماعة من ندمائه وخواصّ شعرائه ، فلمـا أبعَد أخذ فى المسابقة بالخيول ، بجاء فرسه بين البساتين سابقا ، فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت ، وبرزت منها ثمرةٌ قد نضجت ، فسدّد إليها عصًا كانت فى يده فأصابها ، وثبتت فى أعلاها ، فأطربه ما رأى ، والتفت ليخبر من لحقه ، فرأى ابنَ جاخ الصّبّاغ أوّل لاحق به ، فقال : أجز : كأنّها فوق العصَا

فأجابه مسرعا : هامةُ زنجىّ عَصَى

فزاد طربُه وسرورُه ، وأمر له بجائزة[2] .

---

(١) النص من أوله إلى هنا من نفح الطيب (نورو ٢ : ٥٦٨) و (مصر ١١٠٠) نقلا عن المسهب والمغرب وفى صفحة ٩٨٨ من المصدر نفسه نقلا عن (بدائع البدائه) أن الذى صنع الزرد بالنهر هو عبد الجليل بن وهبون الشاعر وكان فيمن معه ابن حمديس الصقلى ، فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف عصف وجه الماء ، فقال ابن حمديس على سرعة أجيزوا هذا ، زرد الريح من الماء زرده فكان من أجازه أبو محمد عبد الله بن رباح الجاج ، إذ قال : « أى درع لقتال لو جمد » وانظر ديوان ابن حمديس .

(٢) النص من أوله إلى هنا من بدائع البدائه ص ٣٩ . وعقد الأجياد فى الصافنات الجياد ص ٢٩٦ .

وحكى ابنُ حمديس قال : لمّا قدمت وافدا على المعتمد بن عبّاد ، استدعانى وقال : افتح الطّاق . فاذا بكير زجج ، والنّار تلوح من بابيه ، وواقده يفتحهما تارة ، ويسدّهما أخرى . ثم أدام سدّ أحدهما وفتح الآخر . فحين تأملتهما ، قال لى : أجز[1] :

انظرهما فى الظّلام قد نجما

فقلت :

كما رَنَا فى الدُّجُنّة الأسَدُ

فقال : يفتح عينيه ثم يُطبقهما

فقلت :

فعل امرئ فى جفونه رَمَدُ

فقال : فابتزّه الدّهر نُورَ واحدة

فقلت :

وهل نجا من صُروفه أحدُ

فاستحسن ذلك وأطربه ، وأمر لى بجائزة . وألزمنى الخدمة .

وركب المعتمد فى بعض الأيام ، قاصدا الجامع يوم الجمعة . والوزير أبو بكر ابن عمّار يسايره ، فسمع أذانَ مؤذّن ، فقال المعتمد[2] :

هـذا المؤذّنُ قد بدا بأذانه

فقال ابن عمّار :

يرجُو بذلك العفوَ من رَحْمانه

---

(١) الخبر من نفح الطيب (مصر ٢ : ١٣٤) وانظر ديوان ابن حمديس (غاية الأمل) .

(٢) هذا الخبر من خريدة القصر (١١ : ١١٤) ونفح الطيب مصر (٩٩٢) .

فقال المعتمد :

طُوبى له مِن شاهدٍ بحقيقة

فقال ابن عمّار : إن كان عقدُ ضميرِه كلسانِه

وذكر الوزير أبو بكر الدانى[1] : فى كتابه : (سَقيط الدرر ، ولقيط الزّهر) ، أنّ المعتمد بنَ عبّاد صنع قسيما فى القبّة المعروفة بسعد السّعود ، فوق المجلس المعروف بالزّاهى ، وهو[2] :

سعدُ السُّعود يتيه فوق الزّاهى

ثمّ استجاز الحاضرين فعَجَزوا ، فصنع ولدُه عبدُ الله الرّشيدُ :

وكلاهُما فى حُسنه مُتناهِى

ومن اغتدَى سَكَنًا لمثلِ محمّدٍ قد جلَّ فى العليَا عن الأشباهِ

لا زال يبلغُ[3] فيهما ما شاءَه ودَهَتْ عِداهُ من الخطوب دَواهِى

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عيسى الخشنى المعروف بابن المحانة كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء غزير الأدب قوى العارضة متصرفا فى البلاغة ، وله تواليف جمة ، منها : كتاب نظم السلوك فى وعظ الملوك ، وسقيط الدرر ولقيط الزهر ، وشعره — كما ذكروا — مدون ، وتوفى بميورقة سنة ٥٠٧ هـ .

(٢) النص من نفح الطيب (أزهر ٤ : ٢٧٥) (ومصر ٩٩١) وبدائع البداهة ص ٤٥ ، وانظر التكملة لابن الأبار والحلة السيراء ص ٧٣

(٣) فى البدائع والحلة « يخلد » .

(١٠)

المعمّيات

دارت هذه المعمّيات بين المعتمد ووزيره ابنِ زيدون ، فكان أحدهما يرسل إلى الآخر قصيدة يشير بها إلى بيت أو بيتين من الشعر رامزا إلى كلّ حرف من حروفه باسم طير من الطيور ، ولذلك يسمّى البيت بالمطيّر . وقد بدا لنا أنّ هذه الرموز ليست على وتيرة واحدة . فنجد الطير فى قصيدة يرمز إلى حرف ، وفى قصيدة أخرى يرمز إلى غيره ، مما يدلّ على أنهما كانا يغيران رمزهما . وهذه المعمّيات التى بين أيدينا — فيما يظهر لنا — قد قصد بها التسلية ، وربّما كان مثلها يستخدم فى المسائل السّرّيّة ، كالتى تستعمل فى حالات الحرب ، ولكنّ هذا النّوع الأخير لم نعثر عليه بينهما .

وأهمّ ما يبدو فى هذه المعمّيات . أن الملغز يضع فكرة البيت المراد فى قصيدته ، فكأنّه يضع مفتاحا لحلّ الرمز .

(١)

كتب المعتمد إلى ابن زيدون[١] :

ياسيّدى ، يامعدن العلمِ ... يا آلةً للحرب والسّلمِ
وجّه طيورَ الشّعر نحوى ، فقد ... بتّ فؤادى شركَ الفهم

فبعث إليه ابن زيدون :

أخفَتنى برُكْ بالنّجم ... يا بن البدورِ الزّهرِ ، من نَجم
يا لابسَ المجدِ الّذى زانه ... بالعلم ، زينَ البُرد بالرَّقم

---

(١) هذا النص وتاليه من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١٠٤ و ١٠٥

قد لثمت كفّى الدرارىَّ مذ ... شافهتُ تلك الكفَّ باللثمِ
قُلّد منك الملكُ عضبَ الظُّبا ... يمضى مضاءَ القَدَرِ الحتمِ
فرِندُه الزَّقراقُ من بِشره ... وحدُّه من نافذِ العــزمِ
قد جاءنى النَّظمُ الذى خلتَه ... مؤلَّفَ اللؤلؤ فى النظمِ
حلّيتنى منــه بفخرٍ يُرى ... فى غُفْلِ حالى رائقَ الوَسمِ
مستدعيًا طيرَ المعنى لكى ... يصيدَها فى شَرَكِ الفهمِ
فهاكها تُهدَى إلى خاطرٍ ... يَستَخرِجُ الإفصاحَ من عُجْمِ

ومعها هذه القصيدة الزامزة[1] :

يأيهــا الظافر نلتَ المُنى ... ولا يَنَلْنا فيــك محذورُ
إنّ الخلالَ الزُّهرَ قد ضمَّها ... ثوبٌ ، عليك الدّهرَ مزرورُ
لا زال للجد الذى شِدْتَه ... ربعٌ — بتعميرك — معمورُ
حتى يُوفَّى فيك ما يَبتغى ... معتضدٌ بالله منصــورُ

• • •

وافاك نظمٌ لى فى طيّه ... معنى معمّى اللفظِ مستورُ
مرامُه يصعب ، مالم يَبُح ... بالسرّ — قُرىً وعصفورُ
وبلبلٌ ، ثم يــكرّ اللذا ... تقدّما ، فاللفظُ مــكرورُ
ثم تَرى البلبلَ ، قد حثّه ... نَسرٌ ، به الشَّفْنينُ منسورُ

---

(١) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٠

ثمّ الغرابُ الجَونُ ، يتلوه قمـ ـرىّ ، ودرّاجٌ ، وزُرزورُ

ثمّ يلى الدّراجُ من بعدُ غر نيقٌ ، ومُكّاءٌ ، وشرشورُ

وباشقٌ ، ثمّ إذا حلّق الشّا هينُ ، والعُصفور مذعورُ

ثمّ سل المكّاء يَصْدُقْك ، والـ ـعصفور ، والقُمرىّ مزجورُ

وإن جرى الدّرّاجُ فى إثره الزّ رزور ، فالمطوىّ منشورُ

وثَمَّ فاعلم أن موضوعَهـ ـا حرفٌ لفصل اللفظ مقدورُ

وفى الذى عمّيتُ نصحٌ لمن جدّ ـ من الأعداء ـ مشكورُ

فضكه المعتمد بهذا البيت :

أنت إن تغـز ظافرُ فليطع من ينـافرُ[1]

---

(١) حل الرمز :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
أ	قمرى	ع	نسر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ق	شفنين	ل	عرنيق	ى	مكاء
ث	بلبل	ط	غراب	ى	مكاء	ن	عصفور
أ	قمرى	ا	قمرى	ط	شرشور	ا	قمرى
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ث	بلبل	ر	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور

ثم أجابه المعتمد بالشعر التالى[1] :

يا خيرَ من يلحظه ناظرى ... شهادةٌ ما شـــابها زُورُ

ومن إذا ما ليلُ خطب دجا ... لاحَ به ، من رأيه ، نورُ

رأيُك ، إمّا شِمتُه ، صارمٌ ... عضبٌ ، على الأعداء ، مشهورُ

جاءتنىَ الطّـــيرُ التى سِرُّها ... نظمٌ ، به قلـــبىَ مسرورُ

شعرٌ ، هو السّحرُ ، فلا تنكروا ... أنى به ، ما عشت ، مسحورُ

اللّفظُ ، والقرطاسُ ، إن شبّهَا ... قيل : هما مسك وكافورُ

وإنّه لمـا اغتدى خاطرى ... مُســـائلا جاوبَ عصفورُ

هوى بجيشِ الطّيرِ من فكرتى ... صقرٌ ، فولّى وهـــو مقهورُ

فَلاح لى بيتٌ ، فؤادى له ... دأبا : على وُدّك مقصـورُ

حظُّك من شكرِىَ يا سيّدى ... بمـا بدا لى منك ، موفورُ

قصّرت فى نظمىَ ، فاعذر ، فمن ... ضاهاك فى التّقصير معذورُ

فأنت إن تنظِمْ وتنثُر : فقـد ... أعـــوزَ منظومٌ ومنثـــورُ

لا يَعدمَنكُمُ روضٌ من الحـــظ فى الإكرامِ والترفيع ممطورُ

فردّ عليه ابن زيدون بقصيدة طويلة مطلعها :

حظّىَ ، من نُعماك موفورُ ... وذنبُ دهرِى بك مغفورُ[2]

---

(١) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٠

(٢) تمام القصيدة بديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١١

(٢)

وكتب ابن زيدون إلى المعتمد :

أيّها الظافر ، لا زلـــتَ مدى الدّنيا مظفّرْ
أنت أسْنى ابنٍ لأسمَى والدٍ فى الدّهر ، فافخرْ
إن تُرد شرح معنًى هو فى نظمىَ مُضمَرْ
فاسأل الشّاهينَ،والصّقـــرين والعنقاءَ ، تُخْبَرْ
ثمّ رَالَ القفر ، والقَيْـــادَ ، والنّسرَ المعمَّرْ
ثمّ بعد الدّيك عُد للنّســـر والزّالِ المنفّـــرْ
ثمّ عُد للنّسر والزّال فكلّ قـــد تكرّرْ
والحُبـــارَى والسُّمانى والشّـــقرّاق المحـــبّرْ
ثم سـائل بعدهنّ البـــازىَ إن حلّ فصَرصرْ
معه الطّاووس والدّيك إذا بالصّـــبح بشّرْ
تِلوه القُمـــرىّ مهما ردّد السّـــجعَ فقرقرْ
ثمّ نادِ الهَيـق والزّالَ لعـــل السّرّ يظهـرْ
وتعيَّف ما لدى القَبْـــجَين[1] من خاف سيظهرْ
ثمّ عُد للنّسر والزّال هما فى الأمر أكثرْ
وازجر العَقعق حقّ الـــزّجْر إنّ الطير تُزجرْ
ولْيَلِ الزّالَ سُمـــانى وشـــقرّاق تأخّرْ
لك ذهنٌ بالذى فى الشّـــعر من خَبءٍ سيُشعَرْ
فتـأمّل ما انبرى فِكـــرى له ، ثمّ تدبّرْ

---

(١) القبج محرك وسكن للشعر وسياتى .

واعتقد أنّىَ فى تَمّ كمن خَط فسطَرْ
وتيقّن أن ما ينْـــفَك أمرُ سوف يُقدَرْ

وحل المعتمد اللّغز فكان البيت المراد هو :

صدّق لنـا فال السّمه تنفّر عَلىّ الكلمه[1]

ثم أجابه بهذه القصيدة[2] :

أيها الفائقُ أهـلِ الـــعصر فى مرأىً ومَخبرْ
لك آراءٌ متى تنـــهَد إلى الأعداء تَظفَرْ
وافقَ العنبرُ من لفـــظِك من ذِهنىَ تجمّرْ

(١) هذا هو الحل

الحرف	الطائر	حرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ت	بازى	ا	نسر
د	صقران	ن	رأل	ظ	طاووس	ل	رأل
ق	عنقاء	ا	نسر	ف	ديك	ك	عقعق
ل	رأل	ل	رأل	د	قمرى	ل	رأل
ن	فهاد	س	سهارى	ع	عيق	م	سمانى
ا	نسر	م	سمانى	ل	رأل	ه	شقراق
ف	ديك	ه	شقراق	ى	قبجان		

(٢) هذا النص وسابقه من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١٠٦ و ١٠٧ على التوالى

فعرفتَ بذكىٍّ العَرِف ما قد كان مُضْمَرْ
ولعَرْفُ الكلِم العذ بِ من العنبرِ أعطرْ
وسألنا صقرَ أطيا ركَ بالسِّرِّ فأخبرْ
وغدا النَّسرُ خطيبا إذ غدا القرطاس منبرْ
وبدا ما كان يَخفى وفشا ما كان يُستَرْ
نظمُ دُرٍّ يستبى القلـ ـبَ متى يُنظمْ ويُنثَرْ
دلّنى أنك فى الخُلـ ـصان معقودٌ بخِنصرْ
دمت فى عيش هنيٍّ صفوُه غيرُ مكدّرْ

فأجابه ابن زيدون بقصيدة مطلعها :

بمكانى منك أفخرْ واعتمادى لك أذخرْ[1]

(٣)

وكتب إليه ابن زيدون[2] :

يامرضيا كل مخدم ومُرويا كلّ مُهذمْ
ويا سَمىَّ المُصلَّى على اسمه والمسلَّمْ
ويابنَ أعظمِ من ها بهُ الملوكُ وأكرمْ
وافاك للطّيرِ سربٌ لديه سرٌّ مُكتّمْ

---

(١) تمام القصيدة بديوانه المخطوط ص ١٠٨ .

(٢) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٣ .

إن تسأل الطير عنه مُعلمًا منه تعلمْ

والنسر والزهو ينبيك والظليم المُصَلمْ

ثم الفديل تليه حامةٌ تترنم

إلى عُقابين يدعو هما الظليم فينهم

ثم العقاب مع الصقر فهو بالشرح أنعمْ

والرأل والزهو والقبج فالثلاثة حُوَّمْ

ثم العُقاب فسله والصقرُ لا يتلعثمْ

إلى حُبارى وباز وحالك اللون أعصمْ

ثم الشمام مع الرا لِ : كي يبوح المجمجمْ

إلى عُقاب وزهو يفصح بما شئت أسمعْ

وما الظليمُ بآل فلو زجرتَ تترجمْ

ثم العُقابُ سيوحى للصقر لا يتكلمْ

وعَقعقٌ وهديل والقبجُ في ذاك ملثمْ

وثم فصلٌ كما قد عهدتَ فيما تقدمْ

يا ملبسَ الدهرِ وشيًا من الجمال مُنمنمْ

اسلم سنى الأماني مؤزرَ النصر مُطعمْ

ففكّه المعتمد فكان البيت المعمىّ هو :

أهْلك عدوّك واسلم واظفَر بسُؤْلك وانعم[1]

(٤)

وأرسل المعتمد إلى ابن زيدون قصيدة رمز فيها بالطّيور إلى حروف البيتين الآتيين :

شعرٌ من مَحْض وُدّه لك فى علم طيره
فهى مهما زجرتَهَ لم تخبّر بغيره

ففكهما ابنُ زيدون ووضعهما فى آخر قصيدة هى[2] :

أيّها الماجدُ الذى خِيره وَفْقُ خَيْره
والذى سَيرُ مشترى أفقنا دون سيره
ملكٌ صحّ من أديم الهدى قدْ سَيْره

(١) إلخ إلخ :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
الهمزة	طير	و	عقاب	ل	رهو	د	(أعصم) ظبى	و	عقاب
ه	تمر	و	عقاب	م	فيح	ب	صيام	ا	صقر
ن	رهو	ك	ظليم	و	عقاب	س	زال	ن	عقعق
ك	ظليم	و	عقاب	ا	صقر	و	عقاب	ع	هدبل
ع	هدبل	ا	صقر	ظ	حبارى	ل	رهو	م	فيح
د	حمامة	س	زال	ف	بار	ك	طليم		

(٢) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص (١٠٦) .

فَهُوَ الدّهرَ نفعُه حاضرٌ دون ضميرِه
يالَيلِي سِمْتُ من سهرى فى قُميرِه
عزّ فى وَهنه مرا مُ عَنَا فى سحيرِه
* شعرُ من محضُ ودّه لك فى علم طيرِه
فهى مهما زجرتها لم تُخبّر بغيرِه

(٥)

وكان ابن زيدون قد أرسل قصيدة معمّاة إلى المعتمد ، فأجابه المعتمد بأربعة أبيات ، ووضع خامسها البيت المطلوب وهى[١١] :

ياسيّدى الأعلى ومَن عدّدْته أقوى العُدَدْ
حلّت طيورُك بى وقد قرّبتَ منها ما بعُدْ
كاشفتنَا عن سرّها فوشى إلىّ بها الصُّرَدْ
بيتاً يدلّ على اعتقا دك ياجميلَ المعتقَدْ
"الحاجبُ الأعلى العَضُد قرّةُ عينِ المعتضِد"

فأجابه ابن زيدون بقصيدة مطلعها[١٢] :

لو أنّ من جارَ قصد لم يَجْزِ عن وصلى بصَدْ

---

(١١) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ٩٧

(١٢) تمام القصيدة فى ديوان ابن زيدون المخطوط ص ٩٨

القسم الثانى

عهد المحنة والأسر

(١) قبيل الأسر

قافية الدال

وخاطبَ أبا بكرٍ [١] المنجِّمَ الخَولانىَ حين دُخِل عليه البلدُ [٢] بقوله [٣]:

أَرَمِدْتَ أم بجُومك الرَّمدُ ؟ قد عاد ضدًّا [٤] كُلُّ ما تَعِدُ

هل فى حسابك ما تُؤمِّلُه أم قد تَصَرَّمَ عندك الأَمدُ

قد كنتَ تَهمِسُ إذْ تُخاطبنى وتَحُطُّ كَرهًا إن عَصَتك يَدُ

فالآن لا عينٌ ولا أثرٌ أتُراك غيَّبَ شخصَك البلدُ

وَتراك بالعَذراء فى عُرُس أم إذ كذبت سَطَا بك الأَسَدُ

المُلكُ لا يَبقى على أحدٍ والمـوتُ لا يَبقى له أحدُ

---

(١) هو منجم المعتمد وكان المعتمد — كما كان كثير من أهل عصره — ممن يؤمن بالتنجيم ويدّعون الاستدلال بالنجوم وقد اصطحب المعتمد أبا بكر هذا معه عند بدء معركة الزلاقة فكان يخبره بطالع الوقت قبل نشوبها القتال . (وانظر الحلل الموشية ص ٣٩ و ٤٠) .

(٢) هو جند إشبيلية من المرابطين يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة ٤٨٤ (ابن بسام ٢ : ٣٢ ؛ وأعمال الأعلام ص ١٨٩) فخرج المعتمد للقائهم عدوه وردهم على أعقابهم وكانت الحال مضطربة بإشبيلية خمسة أيام وزال ذلك يشير ابن بسام بقوله "ثم الوقت الحال المعتمد أبا ما يسيرة والناس بحضرة إشبيلية قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سياحة و يخوضون نهرها سباحة و يتراءون من شرفات الأسواق . . . فلما كان يوم الأحد الموفى عشرين من رجب المؤرخ ٤٨٤ دخل الخذل على المعتمد . . . " وانظر المعجب (٩٩) .

(٣) نقص من أصل الذخيرة (أ ٢ : ١٤ ؛ ب ٢ : ١٨) .

(٤) فى أصل الذخيرة « جدا » تحريف .

قافية العين

وقال حين هوجمت إشبيلية ، فخرج مدافعا عن نفسه وأهله وكان قد أشار عليه وزراؤه بالخضوع والاستعطاف[1] :

لَمَّا تَماسَكَتِ الدُّموعُ وتَنَبَّــه القلبُ الصَّديعُ

قالوا : الخضوعُ سياســةٌ فلْيَبْدُ منك لَهُمْ خضُوع

وألَذُّ من طَعْمِ الخــضو ع على فمى السُّمُّ النَّقيع

إن يسلُبِ القومُ العِدَا[2] مُلكى وتُسْلِمْنى الجمُــوع

فالقلبُ بين ضــلُوعه لم تُسلِمِ القلبَ الضُّلُوع

لم أُسْتلَب شَرَفَ الطِّبا ع ، أيُسلَبُ الشّرفُ الرفيع

قد رُمتَ[3] يومَ نِزالهم ألا تُحَصِّــنَنِي الدُّرُوع

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٤) والقلائد ص ٢٢ ، والذخيرة (٢ : ١٣ - ب ٢ : ١٨) ونفح الطيب مصر ١١٣٧ وأعمال الأعلام ص ١٩٠ .

(٢) فى الذخيرة « إن تستلب على الدنا » .

(٣) فى أعمال الأعلام « كم رمته » .

وبرزتُ ليس سوَى القَـــميص[1] على الحشَا شيءٌ دَفُوع
وبذلتُ نفسى كى تَســيلَ إذا يَسيلُ بهـا النَّجيع
أجَــلى تأخَّر ، لم يكُن بهــوای ذُلٌّ والخضُوع
ما سرتُ قطُّ إلى القِتـا ل وكان[2] من أمَلِى الرجوع
شيمُ الأُلى ، أنا منهمُ والأصلُ تَتبعــه الفروع

(ب) فى الأسر

قافية الهمزة

روى العماد الأصفهانىّ فى خريدة القصر بإسناد عن قاضى الجماعة بإشبيلية: «أنّه لمّا خُلع المعتمد غَرَّبه يوسف بن تاشفين إلى العُدوة ، فوصل إلى موضع منها ، وأهل البلد خارجون للاستسقاء فأنشد[3] :

خرَجُوا ليستَسقُوا ، فقلتُ لهم دَمعى يَنوبُ لكُمُ عن الأنواء
قالُوا : حقيقٌ ، فى دموعك مَقنَعٌ لكنَّها ممزوجــةٌ بدماء

---

(١) يقول المعجب «ميزر هو من قصره ، سيفه بيده وعلالته ترف على جسده لا درقة له ولا درع عليه» (٩٨) . ويقول أعمال الأعلام «وركب المعتمد ... وعليه قميص يشف عن بدنه وقد اعتزل السلاح والسيف منتضى بيده وحمل على الداخلين فردهم على أعقابهم وقتل منهم فارسا وانزعج الناس أمامه وخلفوا الباب لأمر بدا له وعاد إلى القصر وإلى تلك الحال يشير بقوله :

كم رمت يوم نزاعهم ... وانظر أعمال الأعلام (١٩٠) .

(٢) فى الغيث المسجم (١ : ١٥٣) «فكان» .

(٣) النص من خريدة القصر ١١ : ١٤٤ .

وكان الوزير أبو العلاء زُهر بنُ عبد الملك بنِ زُهر بمراكش ، قد استدعاه أمير المسلمين لعلاجه ، فكتب إليه المعتمد راغبا فى علاج بعض كرائمه ، ومطالعة أحوالها بنفسه . فقام بعلاجها ، ورفع قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له بالبقاء الطويل ؛ فكتب إليه المعتمد إثر ذلك بهذه الأبيات[1] :

دعَا لى بالبقاء ، وكيف يهوى ... أسيرٌ أن يطولَ به البقاءُ
أليس الموتُ أروحَ من حياةٍ ... يطولُ على الشّقىّ بها الشّقاءُ
فمَن[2] يكُ من هواه لقاءُ حبٍّ ... فإنّ هَوَاى من حَتفى اللّقاءُ
أأرغبُ أن أعيشَ أرى بناتى ... عَوارِىَ ، قد أضرَّ بها الخَفاءُ
خَوادمَ بنتِ مَن قد كان أعلى[3] ... مراتبه — إذا أبدُو — النّداءُ
وطردُ النّاس بين يدَىْ ممرّى ... وكفُّهمُ إذا غَصَّ الفِناءُ
وركضٌ[4] عن يمين أو شمالٍ ... لنظم الجيش إن رُفع اللواءُ
يُعنّيه أمامٌ أو وراءٌ ... إذا اختلَّ الأمامُ أو الوراءُ
ولكنّ الدّعاءَ إذا دعاه ... ضميرٌ خالص نَفَع الدّعاءُ
جُزيتَ أبا العلاء جزاءَ برٍّ ... نوى بِرًّا ، وصَاحَبَك العَلاءُ
سيُسلِى النّفسَ عمّن فات علمى ... بأنّ الكلَّ يدركُهُ الفَناءُ

---

(١) هذا النص من المعجب (١٠٩) والذخيرة (١ ٢ : ٦٦)

(٢) هذا البيت وتاليه ساقطان من الذخيرة .

(٣) قال المراكشى فى المعجب " ربما حمل المعتمد على القدح بإخمات ذكر حظيائه وآكرم بناته البحث أن يستدعى غزلا من الناس تسد بأبوته بعض خللها وتصلحه به ما ظهر من اختلالها . فأدخل عليها فيما أدخل غزل ليلت عريف شرطة أبيها كان بين يديه يزع الناس يوم بروزه لم يكن يراه إلا ذلك اليوم . . . " ص ١١٩ .

(٤) فى الذخيرة وركض عن يمين أو شمال إذا اختل الأمام أو الوراء »
وبذلك حذف شطرى بيتين .

قافية الباء

ولمّا وصل إلى طنجة[1] أسيرا ، أرسل إلى الحُصرى المكفوف بثلاثين مثقالا . وأدرج قطعةَ شعر طيها ، مُعتذرا من نَزْرها ، راغبا فى قبولها ، فلم يُجاوبه الحصرى ؛ فكتب إليه المعتمد بهذه الأبيات[2] :

قُل لمن قد جَمَعَ العلـ ـمَ وإنْ[3] أحْصَى صَوابَهْ
كان فى النُّصرَة شِعرٌ فتَنَظَّرْ جوابَهْ
قد أثبنَاك[4] فهلّا جَلبَ الشِّعرُ ثوابَهْ

ولمّا اتّصل بزعانفة الشّعر وملْحفى أهل الكُدية بطنجة ما صنع المعتمد مع الحصرى تعرضوا له بكل طريق . وقصدوه من كل فجّ عميق ، فقال[5] :

شُعراءُ طنجةَ كُلّهم والمغرب
ذهبوا من الإغراب أبعدَ مذهب[6]

---

(١) قال المراكشى فى المعجب (ص ١٠١) " كان نزول المعتمد من العدوة بطنجة فى الأيام التى أيّدنا وقتيه بها الحصرى الشاعر يجرى معه على سوء عادته من فتح الكدية وبراض الإخلاف فرفع إليه أشعارا قديمة فلما كان صدد سراه وأضاف إلى ذلك قصيدة استجادها عند وصوله إليه . ولم يكن عند المعتمد فى ذلك اليوم ممن يزوده — وهو طاغية — أكثر من ستة وثلاثين مثقالا فقطع عليها وكتب معها قطعة شعر يعتذر من قلتها وكان نزول المعتمد بطنجة أسيرا سنة ٤٨٤ هـ "

(٢) هذا النص من الذخيرة أ ٢ : ١٨ ، ب ٢ : ٢١ والمعجب ص ١٠١

(٣) سقط بنسختى الذخيرة واستكملنا من المعجب .

(٤) فى الذخيرة " أثبناك " تحريف والصواب من المعجب .

(٥) النص من جريدة القصر (١١ : ١٥١) والذخيرة أ ٢ : ١٨ ، ب ٢ : ٢٢ ، وابن خلكان (٢ : ٤٨) والمعجب (١٠١) ، وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٩) .

(٦) هذا البيت والبيت الأخير وردا فى الذخيرة والمعجب .

سألوا العَسير[1] من الأسير وإنّه
بسؤالهم[2] لأحقّ منهم فأعجب[3]
لولا الحياءُ وعزّةٌ لحميّةٌ
طىّ الحشا لحكاهُمُ فى المَطْلَبِ
قد كان إن سُئل النّدى[4] يُجزِل وإن
نادى الصّريخُ ببابه اركَبْ يركَبِ

وسأله رجل يعرف بابن الزنجارى أن يزوّده من شعره ، فكتب إليه[5] :

لو أستطيعُ على التّزويدِ بالذّهب ... فعلتُ ، لكن عدانى طارقُ النّوَبِ
يا سائلَ الشّعر يَجتابُ الفلاةَ به ... تزويدُكَ الشّعرَ لا يُغنى عن السّغَبِ
زاد من الريح لارِىٌّ ولا شِبَعٌ ... غدَا له مُؤثراً ذُو اللُّبّ والأدبِ
أصبحتُ صفراً يدى مما تجود به ... ما أعجبَ الحادثَ المقدورَ فى رجبِ
ذلٌّ وفقرٌ أزالا عزّةً وغنًى ... نُعمى اللّيالى من البلوى على كَثَبِ
قد كان يستلِبُ الجبّارَ مهجتَه ... بَطشِى ، ويحيا قتيلُ الفقر فى طابى
والمُلك يَحرُسه فى ظلّ واهبه ... غُلْبٌ من العُجم أو شُمٌّ من العَرَبِ
فحين شاء الذى آتاه يَنْزِعُه ... لم يُجدِ[6] شيئا قراعُ السُّمرِ والقُضُبِ
فها كها قطعةٌ يطوى لها حسدا ... السّيف أصدق أنباءً من الكُتُبِ[7]

---

(١) فى خريدة القصر وروضات الأعيان وشذرات الذهب " اليسير " .
(٢) فى الذخيرة " لسؤالهم " .
(٣) فى الذخيرة والمعجب " فاعجب واعجب " .
(٤) هذه رواية المعجب وفى الذخيرة " التى يزل "
(٥) هذا النص من أوله الى آخر الأبيات من الذخيرة : ١ ٢ : ١٨ و ب ٢ : ٢٢ .
(٦) فى الذخيرة " ما يجدى " .
(٧) مطلع قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية ، و نظر ديوان أبى تمام .

وقال[1] :

أرى الدّنيا الدّنيّـةَ لا تُوَاتِى ... فأَجمِلُ فى التّصرُّف والطّلابِ
ولا يَغُـرُرك منها حُسنُ بُردٍ ... له عَلَمان من ذَهبِ الذّهابِ
فأوّلهـا رجاءٌ من سَرابٍ ... وآخرُها رِداءٌ من تُرابِ

قافية الحاء

قال فى مكتبه فى القيد[2] :

قَضى وطرًا من أهله كلُّ نازِحِ ... وكَرَّ يُداوى علّةً فى الجوارحِ
سوايَ فانى رَهنُ أدهمَ مُبهِمٍ[3] ... سبيلَ نجاتى آخذٍ بالمبارحِ

وعتب المعتمد على ابنه الرشيد فى طريقه من مِكناسَةَ إلى أغمات عتباً أفرط فيه ، فكتب إليه الرشيد يستعطفه[4] :

يا حَليفَ النّدى وربَّ السّماحِ ... وحبيبَ النُّفوس والأرواحِ
من تمـامِ النُّعمى علىَّ التماحى ... لمحةً من جبينك الوضّـاحِ
قد غَنِينَا ببشره وسنـاهُ ... عن ضياء الصّباح والمِصباحِ

---

(1) النص من الحلة السيراء ص ٧١

(2) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٣) .

(3) فى الأصل « مبهم » تحريف ولعل الصواب ما أثبتنا . وفى اللسان « يقال طريق مبهم إذا كان حميا لا يستبين ، واستبهم عليه الأمر أى استغلق وأبهمت الباب : أغلقته وسددته » .

(4) النص من الحلة السيراء نقلا عن دوزى ٢ : ٧٣

فأجابه المعتمد :

كنتُ حِلفَ النّدى وربَّ السّماحِ ... وحبيبَ النُّفوسِ والأرواحِ
إذْ يميني للبَذْلِ يومَ العطايا ... ولقبضِ الأرواحِ يومَ الكفاحِ
وشمالى لقبضِ كلِّ عنانٍ ... يُقحِمُ الخيلَ فى مجالِ الرِّماحِ
وأنا اليومَ رهنُ أسرٍ وفقرٍ ... مُستباحُ الحِمى مَهيضُ الجناحِ
لا أُجيبُ الصّريخَ إن حضرَ النّا ... سُ ، ولا المعتفين يومَ السّماحِ
عادَ بِشرى الذى عهدتَ عُبوسًا ... شَغَلَتنى الأشجانُ عن أفراحى
فالتِماحى إلى العيونِ كَريهٌ ... ولقد كان تُرفَةَ اللّمّاحِ

قافية الدّال

ولمّا آله القيد ، وهو أسير قال[1] :

تبدّلتُ من عزّ ظلِّ البُنودِ ... بذُلِّ الحديدِ ، وثِقلِ القُيودِ
وكان حديدى سِنانًا ذليقًا ... وعَضْبًا رقيقًا صقيلَ الحديدِ[2]
فقد صار ذاك وذا أدهما ... يَعَضُّ بساقَىَّ عَضَّ الأُسودِ

وكانت طائفة من أهل فاس ، قد عاثوا فيها فسادا ، فسجنهم يوسف ابن تاشفين بأغمات ، حيث كان المعتمد أسيرا ، فكان يتسلّى بمجالستهم حينا إلى أن شفع فيهم ، وانطلقوا من وَثاقهم ، وبقى المعتمد يتشكّى من ضيق الكَبْل فدخلوا عليه موذّعين ، فقال[3] :

أمَا لانسكابِ الدّمعِ فى الخدّ راحةُ ... لقد آنَ أن يَفْنَى ويفنى به الخدُّ
هَبُوا دعوةً يا آلَ فاسٍ لمبتلًى ... بما منهُ قد عافاكمُ الصّمدُ الفردُ

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان ص ٦٣ وتحقيق الذخيرة : ٢ : ٢ ، ٦ ، ب ٢ : ٢٤ وابن خلكان (٢ : ٤٥) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٨) .

(٢) فى قلائد العقيان « الخدود » .

(٣) هذا النص من قلائد العقيان ص ٢٨ ونفح الطيب (أوربا ٢ : ٥٧٧ ومصر ٦ : ١١٠) .

تخلّصتُم من سجن أغمات[1] ، والتوت ... علىّ قُيودٌ لم يَحِنّ فكُّها بَعدُ

منَ الدُّهم ، أمّا خلقُها فأساودٌ[2] ... تَلوَّى . وأمّا الأيدُ والبطشُ فالأُسْدُ

فَهُنّئتُمُ النُّعمى ، ودامت لكلّكم ... سعادتُه إن كان قد خانني سعدُ

خرجتم جماعات ، وخُلّفتُ واحدا ... ولله فى أمرى وأمرِكم الحمدُ

وقال بعد أسره يتذكّر قصوره بالأندلس[3] :

بكى المباركُ[4] فى إثر ابنِ عبّادِ ... بكى على إثر غزلان وآسادِ

بكت ثُرَيّاهُ لاغتْ[5] كواكبُها ... بمثل نَوءِ الثُّريّا الرائح الغادى

بكى الوحيدُ ، بكى الزّاهى وقبّته ... والنّهرُ ، والتاجُ ، كلُّ ذُلّه بادى

ماءُ السماء على أبنائه[6] دِرَرٌ[7] ... يا لُجّةَ البحر دُومى ذاتَ إرزادِ

---

(١) أغمات : بلدة فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، بينهما ثلاثة فراسخ . انظر معجم البلدان (١ : ٢٩٥) .

(٢) أساود جمع أسود : وهو الحية .

(٣) هذا النص من قلائد العقيان (٢٤) ونفح الطيب (أوروبة ٢ : ٦١٩) وبولاق (١١٣٥) .

(٤) المبارك والثريا والوحيد والزاهى : أسماء قصور للمعتمد بالأندلس .

(٥) "لاغت كواكبها" قال ابن داكور فى تزيين قلائد العقيان "دعاء" بالإهوال عليه وبين كواكبها المجازية أى لشبيهة بالكواكب من جواريه وبناته وسريه حائل" . وفى القاموس (ل غ) . غم الهلال بالضم لهو مغموم حال دونه غيم رقيق .

(٦) أسرة بنى عباد تنسب الى النعمان بن المنذر الذى كان يكنى بابن ماء السماء . ويشير المعتمد كثيرا إلى هذا النسب فى شعره كقوله :

أذل بنى ماء السماء وزانهم ... وذلّ بنى ماء السماء كثير

وقوله :

نحن أبناء ذى ماء السما ... نحوزُ تضييع الخاط الحدق

(٧) درر : بدال مهملة مكسورة فراء مفتوحة بعدها راء أخرى جمع درة بكسر الدال . وأراد به كثير المطر ودرت السماء بالمطر درا ودرورا فهى مدرار .

ولمّا أحس بدنوّ وفاته[1] ، رثى نفسه بهذه الأبيات ، ووصّى بأن تكتب على قبره[2] :

قبرَ الغريب سقاكَ الرائحُ الغادى ... حقّاً ظفرتَ بأشلاء ابن عبّاد

بالحلم ، بالعلم ، بالنُّعمى إذ اتّصلت ... بالخصب إن أجدَبوا ، بالرِّىّ للصّادى[3]

بالطّاعن ، الضّارب ، الرّامى إذا اقتتلوا ... بالموت أحمرَ ، بالضِّرغامة العادى[4]

بالدّهرِ[5] فى نِقَمٍ ، بالبحر فى نِعَمٍ ... بالبَدر فى ظُلَمٍ ، بالصَّدرِ فى النّادى

نعم ، هو الحقّ وافانى[6] به قدرٌ[7] ... من السّماء ، فوافانى لميعاد

ولم أكن قبل ذاك النَّعشِ أعلمُه ... أنّ الجبالَ تهادَى فوق أعوادِ[8]

كفاكَ[9] ، فارفُق بما استُودعت من كَرَمٍ ... رَوّاكَ كُلُّ قَطُوب البرق رعّاد

يبكى أخاهُ الذى غَيَّبتَ وابلُه ... تحت الصفيح ، بدمع رائح غادى

حتّى يجودَك دمعُ الطّلّ منهمراً ... من أعين الزّهر لم تَبخَل بإسعاد

ولا تزل صلواتُ الله دائمةً[10] ... على دَفينك لا تُحصَى بتعداد

---

(١) اختلف فى تحديد زمن وفاة المعتمد ، فابن بسام يذكر أن وفاته كانت فى ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وابن خلكان وصاحب الشذرات أنه توفى فى السجن بأغمات حادى عشر شوّال وقيل فى ذى الحجة من عام سنة ٤٨٨ .

(٢) النصّ من المعجب ص ١١٢ ، وخطيّ الذخيرة (أ ٢ : ١٤ ، ب ٢ : ١٨) وأعمال الأعلام ٣ : ١٩١ .

(٣) هذه رواية المعجب وقد ورد هذا العجز عجزا لصدر بيته " باطّاعن الضّارب . . . . " فى الذخيرة وأعمال الأعلام .

(٤) هذا الشطر قد ورد فى المعجب عجزا لقوله " باحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت " وساقط فى الذخيرة وأعمال الأعلام .

(٥) هذا البيت ساقط من الذخيرة وأعمال الأعلام .

(٦) هذه رواية الذخيرة وأعمال الأعلام وفى المعجب (حاباني) .

(٧) فى أعمال الأعلام " القدر "

(٨) فى المصدر السابق " أطواد "

(٩) هذا البيت والبيان بعده لم يرد فى الذخيرة وأعمال الأعلام وما أثبتنا من المعجب .

(١٠) فى الذخيرة وأعمال الأعلام " ماثلة " .

قافية الراء

ولمّا[1] خلع المعتمد ، وذهب إلى أغمات[2] طلب من حوّاء بنت تاشفين خباءً عاريّة ، فاعتذرت بأنّه ليس عندها خباء ، فقال[3] :

هُمُ أوقدوا بين جَنْبَيْكَ[4] نارَا ... أطالُوا بها فى حشَاك استِعَارَا
أما يُخجِلُ المجدَ أن يُرحلُو[5] ... ك ، ولم يُصحبُوك خِباءً معارا
فقد قَنَعوا المجدَ إن كان ذَا ... لك — وحاشَاهُم — منك نِحزيًا وعَارَا[6]
يَقِلُّ لعَينيك أن يجعلو ... سوادَ العيون عليكُم شِعارا
تراهم نسوا حين جزت القفا ... رحنينا إليهم وخضت البحارا
بعهد لزومٍ لسُبل الوفا ... إذا حاد من حاد عنها وجارا
وقلبى نزوعٌ إلى يوسفٍ ... فلولا الضلوعُ عليه لطارا

وأورد صاحب الخريدة من هذه القصيدة أبياتا أخرى يذكر فيها المعتمد يوم العروبة ، وبلاء يوسف بن تاشفين :

ويومَ العروبةِ ذُدت العِدَا ... نصرتَ الهُدى ، وأبيتَ الفِرارَا
ثَبَتَّ هناك ، وإنّ القلو ... بَ بين الضُّلوع لتأبَى القَرارا
ولولاك يا يوسُف المتّقَى ... رأينا الجزيرةَ للكفر دارا

---

(١) هذا التصدير من نفح الطيب (مصر ٤ : ١١٠) وقد ذكر الابيات الأربعة الأولى .

(٢) انظر ما سبق عن أغمات (ص ٩٥) .

(٣) النص من نفح الطيب (مصر ٤ : ١١٠) والخريدة ١١ : ١٤٤

(٤) هذه رواية الخريدة وفى نفح الطيب " بجنبك "

(٥) هذه رواية الخريدة وفى نفح الطيب " زد ودك "

(٦) هذا البيت والبيت بعده وردا فى موضعهما هذا فى رواية النفح .

رأينا السُّيوفَ ضُحًى كالنجو م ، وكاللَّيل ذاك الغُبارَ المثارَا
فلله درُّك فى هَوله لقد زادَ بأسُك فيه اشتِهَارَا
تَزيدُ اجتراءً إذا ما الرما ح عند التّناجزِ زِدْنَ اشتِجَارَا
كأنّك تَحسَبها نَرجِسًا تديرُ الدماءَ عليها عُقَارَا
تُريك الرِّماحُ القَدود انثنَاءً وتجلو الصّفَاحُ الخدودَ احمرارَا
إذا نارَ حربكَ ضَرَّمتَها حَسِبنَ الأسنّةَ فيها شَرارَا
ستلقَى فِعالك يوم الحسا بِ تَنثُرُ بالمسك منك انتشارَا
وللشُّهدَاء ثناءٌ عليك بحسن مُقامك ذاك النَّهارَا
وأنّهمُ بك يَستَبشِرو ن ألاّ تَخافَ وألاّ تُضَارَا[1]

وقال وهو أسير يأسى على قصوره ، وكتب بها إلى ابن حمديس[2] :

غَريبٌ بأرض المغربين أسيرُ سَيبكى عليه منبرٌ وسريرُ
وتَندُبه البيضُ الصَّوارمُ والقَنا وينهلُّ دمعٌ بينهن غَزيرُ
سيبكيه[3] فى زاهيه والزّاهر النّدى وطُلّابهُ ، والعرفُ ثمّ نكيرُ
إذا قيل فى أغمات قد ماتَ جودُه فما يُرتَجَى للجود[4] بعدُ نُشورُ

---

(١) ورد بعد هذا البيت قوله :

وقال نعيا يأسى الشقا ونجى مراعا يسى الإسارا

ولعل قبله سقطا .

(٢) هذا النص من خطيّ الذخيرة (٢١ : ٣٠ ب ٢ : ٢٤) والقلائد ص ٢٤ ونفح الطيب (مصر ١١٣٥) وديوان ابن حمديس (ص ٢٣٥) .

(٣) ورد هذا البيت فى ديوان ابن حمديس فى موضعه من هذه القطعة .

(٤) فى ابن حمديس « بعد اغمات » .

مضى زمنٌ والملكُ مُستأنِسٌ به ... وأصبحَ عنه[1] اليوم وهو نَفُورُ

برأيٍ من الدَّهر المضلِّل فاسدٍ ... متى صلحت للصَّالحين دُهورُ

أذلَّ[2] بَنى ماء السَّماء زمانُهم ... وذُلَّ بنى ماء السَّماء كثيرُ[3]

فما مأؤُها[4] إلّا بكاءً عليهمُ ... يفيضُ على الأكباد منهُ بُحورُ

فيالَيتَ شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً ... أمامى وخلفى روضةٌ وغديرُ

بُمنبِتَةِ الزَّيتُونِ موروثةِ العُلا ... تُغنّى قيانٌ[5] أو ترِنُّ طيورُ

بزاهرها[6] السَّامى الذَّرا جادَه الحيا ... تُشيرُ الثُّريّا نحوَنا ونُشيرُ

ويلحظُنا الزَّاهى وسعدُ سُعوده ... غُيورَين والصَّبُّ المحبُّ غيورُ

تُراه عسيراً أم[7] يسيرٌ مَنالُه ... ألا كلُّ ما شاء الإلهُ يَسيرُ

قضى اللهُ فى حِمصَ[8] الحِمامَ وبُعثرت ... هنالك منّا[9] للنُّشور قُبورُ

---

(١) هذه رواية الذخيرة وفى غيرها من الأصول "منه" .

(٢) هذا البيت رواه ديوان ابن حمديس متقدما عن سابقه .

(٣) فى نفح الطيب والقلائد (كبر) .

(٤) البيت وارد فى ديوان ابن حمديس فى موضعه هذا .

(٥) فى نفح الطيب والقلائد "حمام" .

(٦) الزاهر والزاهى والثريا وسعد السعود التى ذكرت فى هذا الشعر — كما يقول ابن بسام — (اسماء قباب وصنائع سلطانية كان تأنق فى بنائها من قصور بإشبيلية . وعن هذا الشعر أجابه أبو محمد الصقلى المعروف بابن حمديس بأبيات قال فيها :

تجرى خلافا للامور أمور ... ويعدل الحرق الثريا والثور)

راجع الذخيرة وديوان ابن حمديس .

(٧) فى نفح الطيب "لا" .

(٨) حمص : بإشبيلية

(٩) فى الذخيرة "فى" تحريف .

ونعبت[١] غربان بجوار المكان الذى كان أسيرا فيه ، ثم ورد إثر ذلك النبأ بقدوم بعض نسائه عليه ، فقال :

غربانَ أغماتَ لا تعدَمْن طيبةً ... من الليالى ، وأفنانًا من الشَّجر
تُظِلُّ زُغبَ فراخٍ تستكنُّ بها ... من الحَرُور ، وتكفيها أذَى المطرِ
كما نعبْتُنَّ لى بالفأل يُعجبنى ... مخبِراتٍ به عن أطيب الخبرِ
أنّ النجومَ التى غابت قد اقتربت ... منّا مطالعها تَسرى إلى القمرِ
علىّ إن صدَّق الرّحمنُ ما زَعَمت ... ألّا يُروِّعن من قوسى ولا وترى
والله ، والله ، لا نفَّرتُ واقعَها ... ولا تطيّرت للغربان بالعَوَرِ[٢]
ويا عقارِبَها لا تعدمى أبدا ... شجًا وعقراً ولا نوعا من الضَّررِ
كما ملأتُنَّ قلبى مذ حللتُ بها ... مخافةً أسلمت عينى إلى السَّهرِ
ماذا رمتك به الأيام يا كبدى ... من نَبلهنَّ ، ولا رامٍ سِوَى القدرِ
أمرٌ وعُسرٌ ، ولا يُسرٌ أؤمّلُه ... أستغفرُ اللهَ ، كم لله من نَظَرِ

ودخل عليه بناته السجن فى يوم عيد ، وكُنَّ يغزلن للناس بالأجرة فى أغمات فرآهن فى أطمار رثّة ، وحالة سيئة ، فصدّع قلبه وأنشد[٣] :

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرُورا ... فساءكَ العيدُ فى أغماتَ مأسُوراَ
ترى[٤] بناتِكَ فى الأطمار جائعةً ... يَغزلن للناس ، لا يملكن[٥] قِطميراَ

---

(١) هذا النص من هنا الى آخر الأبيات من الذخيرة (٢ : ٢١ ، ب ٢ : ٢٥) .

(٢) يسمى الغراب بالأعور تطيرا منه وفى اللسان " والأعور الغراب على التشاؤم به لأن الأعور عندهم مشؤوم " والمقصد هنا يقول إن نعيبه كان بالأحسن فهو لذلك لا يتطير بالغراب الذى يطلق عليه العرب هذا الاسم . انظر اللسان (عور) والحيوان (٣ : ٤٢٨) .

(٣) هذا النص من وفيات الأعيان (٢ : ٤٢٠) وقلائد العقيان (٢٥) ونفح الطيب (١١٣٥) الذخيرة (٢١ : ٢٠) وقلادة النحر (٢ : ٦٢٣) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٨) وخريدة القصر (١١ : ١٥١) وابن الوردى (٢ : ٨) وأبى الفداء ٢ : ٢٩٧

(٤) فى خريدة القصر : "أرى بناتى فى أغمات من عدم ... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا"

(٥) هذه رواية ابن خلكان وقلادة النحر والشذرات وفى باقى الأصول " ما يملكن "

بَرَزْن نَحْوَك للتسليم خاشعةً ... أبصارُهنَّ حَسيراتٍ مكاسيرَا
يَطأن[1] فى الطين ، والأقدامُ حافيةٌ ... كأنّها لم تطأ مِسكًا وكافورَا[2]
لا خدَّ إلا ويشكو الجَذْبَ ظاهرُهُ ... وليس إلّا مع الأنفاس مَمْطورَا
أفطرتَ فى العيد لا عادَتْ إساءتُه ... فكان فِطرُك للأكباد تفطيرَا[3]
قد كان دهرُك إن تأمره ممتثلا ... فردّك الدهر منهيًّا ومأمورَا
من بات بعدك فى مُلك يُسَرُّ به ... فإنما باتَ بالأحلام مغرورَا

وكان ابن حمديس قد مضى لزيارة المعتمد بأغمات ، فصَرفَه بعض خدمه بأنّه لا يوجد فى ذلك الوقت ، فرجع عبدُ الجبّار إلى منزله . فأُخبِر المعتمد بمجيئه ورجوعه ، فعزّ عليه ذلك ، وعنّفَ خدمه ، وكتب إليه بالغداة بهذا الشعر يعتذر إليه[4] :

جُبتَ . فَلا والله ما ذَاك عن أمْرِى ... فأصغِ فدتكَ النّفسُ سمعًا إلى عُذْرِى
فما صار إخلالُ المكارم لى هوًى ... ولا دَار إنجالُ لمثلك فى صَدرِى
ولكنّه لما أحالت محاسنى ... يدُ الدّهر ـ شَلّت عنك دأبًا يدُ الدّهر
عدمتُ من الخُدّام كلَّ مهذَّبٍ ... أشيرُ إليه بالخفىِّ من الأمر
ولم يبق إلّا كلُّ أدكَنَ ألكَنٍ ... فلا آذنٌ فى الإذن يبرأ من عَرّ

(١) فى جريدة القصر "يمشين فى الأرض"

(٢) لعله يشير إلى قصة الزبكية المشهورة حين رأت الناس يمشون فى الطين فاشتهت المشى فيه ، فأمر المعتمد بأشياء من الطيب فسحقت وذرت فى ساحة القصر ثم صب ماء الورد على الطيب وعجنت بالأيدى حتى صارت كالطين وخامتها مع جواريها ..." وانظر نفح الطيب أوربا (٢ : ٦١٨) وبولاق (١١٢٤) .

(٣) هذا البيت ساقط من ابن خلكان وقلادة النحر .

(٤) هذا النص من ديوان ابن حمديس (٢٣٦) .

حمارٌ إذا يمشي . ونَسْرٌ محلِّق إذا طار ، بُعداً[1] للحمار وللنسر
وليس بمحتاج أتاناً حمارُهم ولا نسرُهم مما يحنّ إلى وكرِ
وهل كنتَ إلّا البارِدَ العذبَ إنّما به يَشْتَفِي الظمآنُ من غلّة الصدرِ
ولو كنتُ ممن يشربُ الخمرَ كُنتَها إذا نَزَعتْ نفسي إلى لذّة الخمرِ
وأنتَ ابنُ حمديسَ الذي كنتَ مُهدياً لنا السِّحر ، إن لم نأت في زمن السّحر

يجاوبه ابنُ حمديسَ بقصيدة مطلعها[2] :

أمثلك مولىً يبسطُ العبدَ بالعُذرِ بغير انقباضٍ منك يَجرى إلى ذِكرِ

وحين كان المعتمد أسيرا بأغمات وفد عليه الدانيُّ شاعره ، فبعث إليه بعشرين مثقالا ، ومعها هذه الأبيات[3] :

إليك التِّبرَ من كفِّ الأسيرِ فإن تَقْبَلْ تكُن عينَ الشّكورِ
تقبَّلْ ما يَذوبُ له حَياءً وإن عَذَرتْهُ حالاتُ الفقيرِ
ولا تَعجب لخطب غَضَّ منه أليس الخسفُ ملتزِمَ البدورِ
ورجّ بجبْرِه عقبي نداهُ[4] فكم جبرت يَداه من كَسيرِ
وكم أعلت عُلاه من حضَيضٍ[5] وكم حطّت ظُباهُ من أميرِ
وكم أحظى رضاهُ من حظيّ وكم شهرت علاهُ من شهيرِ
وكم من منبرٍ حنّت إليه أعالي مُرتقاهُ ومن سَريرِ

(١) في الأصل «بد» تحريف .
(٢) انظر القصيدة في ديوان ابن حمديس (٢٣٧) .
(٣) هذا النص من خريدة القصر ١١ : ١٥٢ والمعجب ص ١١٠ وأصل الذخيرة أ ٢ : ١٦ ، ب ٢ : ٢٠ ونفح الطيب ٢ : ٤٨٧ أورد يا راين حلكان (٢ : ٤٧٠) .
(٤) في الذخيرة «يداه» والمراد بعقبي الندى : الخلف .
(٥) في المصدر السابق «حظيظ» .

زمانَ تنافست فى الحظّ منه ملوكٌ قد تجورُ على الدهور
زمانَ تراجعتْ عن جانبيه جيادُ الخيل بالموت المُبيرِ
بحيث يطيرُ بالأبطال ذعرٌ ويُلقَى ثَمَّ أرجح من ثبير[1]
فقد نظرت إليه عيونُ نحسٍ مَضَت منه بمعدومِ النَّظيرِ
نحوسٌ كُنَّ فى عُقبى سعود كذاك تدور أقدارُ القدير

ورَدَ الدّانى صلته هذه وكتب إليه :

سقطتَ من الوفاء على خَبير فذَرنى والذى لك فى ضميرى

ومنها :

أسيرُ ، ولا أسير إلى اغتنامٍ مَعاذ اللهِ من سوء المصير
جذيمة أنت : والزَّبّاء خانت وما أنا من يُقصَّرُ عن قصير
أنا أدرى بفضْلِك منك . إنّى لبستُ الظّلّ منه فى الحَرورِ
غنىّ النفس أنت وإن ألحت على كفّيك حالات الفقير

* * *

أحدّث منك عن نَبع غَريب تَفَتَّحَ عن جنَى زهَر نضيرِ
وأعجبُ منك أنّك فى ظلامٍ وترفع للعُفَاة مَنارَ نُورِ
رُويدك[2] سوف تُوسِعنى سُرورا إذا عاد ارتقاؤُك للأسرير

---

(١) وردت الأبيات ٦ ، ٨ ، ١٠ فى آخر القصيدة فى المعجب ولعل ترتيبنا أول .

(٢) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده رواها المعجب بعد البيت السابق .

وسوف تُحِلُّنى رتبَ المعالى ... غداةَ تَحُلُّ فى تلك القُصورِ
تزيد على ابن مروانٍ عطاءً ... بها ، وأنيفُ ثَمَّ على جَريرِ
تأهَّبْ أن تعودَ إلى طُلوع ... فليس الخَسفُ ملتزمَ البُدورِ

فراجعه المعتمد بهذه الأبيات :

ردَّ بِرِّى بَغياً علىَّ ، وبِرّاً ... وجَفَا فاستحقَّ لوماً وشُكرَا
عافَ[1] نزرِى إذ خافَ تأكيدَ ضَرِّى ... فاستحقَّ الجفاءَ إذ عاف نَزرا
فإذا ما طويتُ فى الحمد بَعضاً ... عاد لَومِى فى البَعض سرّاً وجهرَا
يا أبا بكرٍ الغريبَ وفاءً ... لا عدمناك فى المغاربِ ذُخرَا
أىّ نفعٍ يُجدى احتياطُ شَفيقٍ ... مُتُّ[2] ضُرّاً ، فكيف أرهَبُ ضُرّاً

فأجابه الدانى :

أيُّها الماجدُ السميذَعُ ، عذرا ... صَرْفَ البِرِّ إنما كان بِرّاً
حاش لله أن أُجيبَ كريماً ... يتشكَّى فقراً ، وكم سدّ فقرا
لا أزيدُ الجفاءَ فيه شُقُوقا ... غَدرَ الدّهر بى لئن رمت غَدرَا
ليت لى قوّةً أوَاوِى لِرُكنٍ ... فترى للوفاء منّى سِرّا
أنت علّمتنى السيادةَ حتى ... ناهضَتْ همّتى الكواكبَ قدرَا
ربحتْ صفقةٌ أزيلُ بُرودا ... عن أديمى بها وألبس فَخرَا
وكفانى كلامُك الرضبُ نيلاً ... كيف ألقى درّا وأطلب تبرَا
لم تَمُتْ ، إنما المكارم ماتت ... لاسقَى الله بعدَك الأرضَ قَطرَا

(١) فى نفح الطيب «حط نزرى ... ... إذ حاط»

(٢) فى الذخيرة «بت» . قال ابن بسام «وهذا المصراع الأخير كأنه إلى بيت أبى الطيب يشير :

« أنا الغريق فما خوفى من البلل »

وقال يرثى ولديه[1]، وفيها يشير إلى قتل ابنه أبى عمرو سراج الدولة[2] :

يقولُون صبراً ، لا سبيل إلى الصَّبرِ
سأبكِى ، وأبكى ما تطَاولَ من عُمرِى
هوى الكوكبانِ : الفتحُ ثمّ شَقيقُهُ
يَزيدُ ، فهل عند[3] الكواكب من خُبرِ[4]
نرى زُهرها فى مأتمٍ كلَّ ليلةٍ
تُخَشْخِشُ لهفاً وسطَهُ صفحةُ البدرِ
يخُن على نَجمين ، أثكلتُ ذا وذا
وأصبر[5] ؟ ! ما للقلب فى الصَّبر من عُذرِ
مَدَى[6] الدّهر فليَبْكِ الغمامُ مُصابَهُ
بِصنْويه يُعذر فى البكاء مَدَى الدَّهرِ
بعينِ سحابٍ واكفٍ قطرُ[7] دمعِها
على كلّ قبر حلَّ فيه أخُو القَطرِ

---

(١) هما المأمون الذى قتل فى «قرطبة سنة ٤٠٨» والراضى الذى قتل فى «رندة» بعده بأيام . وانظر ما سبق ص ٦٨ .

(٢) الخبر من خريدة القصر (ق ١١ : ١٥١) وقلائد العقيان ص ١٢ وبغية الذخيرة أ ٢ : ١٨ ب ٢ : ٢٢ والحلة السيراء عن دوزى ص ٦٨ .

(٣) فى القلائد «بعد» وهذا البيت هو السابع فى رواية القلائد وما جرينا عليه هو ترتيب الخريدة وترجح مواليه .

(٤) الخبر بكسر الخاء وضمها : العلم بالشىء ، وفى الأصل «صبر» ولعل ما أثبتناه أولى .

(٥) فى قلائد العقيان «هو يا صبر» .

(٦) هذا البيت وما يليه من القلائد .

(٧) فى الأصل «قصر» تحريف .

وبرقِ ذكيِّ النَّارِ حتَّى كأنَّما
يُسعَّر مما فى فؤادى من الجَمْرِ
أفتحُ ، لقد فَتَّحتَ لى باب رحمةٍ
كما يزيدَ ، اللهُ قد زادَ فى أجْرى
هَوى بكما المِقدَار عنّى ، ولم أُمتْ
وأُدعَى وفيًّا ، !قدنكَصتُ إلى الغَدر[1]
توأيتُما والسِّنُّ بعدُ صغيرةٌ
ولم تلبث الأيّامُ أن صغَّرت قدرى
تولّيتما حين انتهتْ بكما العُلا
إلى غايةٍ ، كلٌّ إلى غايةٍ يَجرِى[2]
فلو عُدتُما لاخترتُما العَودَ فى الثَّرى
إذا أنتُما أبصرتمانِىَ فى الأسْرِ
يُعيد على سَمعى الحديدُ[3] نشيدَه
ثقيلاً ، فتبكى العينُ بالحسِّ والنَّقْرِ

---

(١) ورد هذا البيت فى موضعه هذا فى رواية القلائد .

(٢) « « « « « « فى رواية الذخيرة .

(٣) يريد بالحديد هنا : القيد

مَعِي[1] الأخـــواتُ الهالـكاتُ عليكُما
وأمُّكما الثَّكلَى المضرَّمةُ الصَّـــدر
فتبكى[2] بدمع ليس للقطـــر مثلُه
وتزجرُهـا التَّقوى فتُصغى إلى الزَّجرِ
أبا خالدٍ[3] أورثتنى الحـــزن خالداً
أبا النَّصرِ[4] مُذ ودَّعتَ ودَّعنى نَصْرِى
وقَبلَكُما قـــد أودَع القلبَ حسرةً
تَجـــدَّدُ طولَ الدَّهر، كُلُّ أبى عَمرو[5]

قافية السين

وقال[6] :

من يُصَحِبِ الدهرَ لم يعـــدَم تقلُّبَه
والشوكُ ينبتُ فيـــه الوَردُ والآسُ
يَمُـــرُّ حينا وتَحـــلُو لى حوادثُه
فقلَّمـا جرحتْ إلا انثَنَتْ تَاسُـــو

---

(١) فى الذخيرة «معى»

(٢) فى المصدر نفسه «تبكى» وفى الحلة ورد البيت هكذا

تذكرها الذكرى فتفزع لبكا وتصبر فى الأحيان شفقا على الأجر

(٣) أبو خالد : كنية يزيد

(٤) أبو النصر : كنية الفتح .

(٥) أبو عمرو هذا هو سراج الدولة بن المعتمد وكان على فرضة من قبل أبيه ولما بلغه نبأ هجوم ابن عكاشه سنة ٤٦٨ هـ دافع عنها على ضعفه وخرج للاقاة عدوه ومطاردته إلى أن زالت قدمه فسقط عن جواده وقتل . وقد يلبث المعتمد أن عاد إلى قرطبة فقتل ابن عكاشة انتقاما له ، وولى ابنه المأمون عليها . وانظر الذخيرة والقلائد وتاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين لاشباخ ، وترجمة الأستاذ عبد الله عنان .

(٦) النص من الغيث المسجم ٢ : ١٧٤ .

قافية العين

وقال[1] :

قُبِّحَ الدَّهـرُ فـاذا صَنَعَا ... كلَّمـا أعطى نَفيساً نزعَا
قـد هوى ظُلمـا بمن عادَاتهُ ... أنْ يُنادى كلّ من يَهوى "لَعَا"
مَنْ إذا الغيثُ همَى مُنهمِـراً ... أخجَلتهُ كَفُّه فانقطعَا[2]
مَنْ عَمـامُ الجـود من راحتِه ... عصَـفتْ ريحٌ به فانقَشعَا
من إذا قيل الخَنَا[3] صَمّ وإنْ ... نطقَ العـافُون هَمساً سَمِعَا
قل لمن يطمع فى نائله ... قد أزالَ اليأسُ ذاك الطَّمعَا
راح لا يملكُ إلاَّ دعـوةً ... جَبرَ اللهُ العُفَـاةَ الضُّيَّعَا

قافية الفاء

وكانت بثينةُ بنتُ المعتمد فى جملة من سُبِي ، حين أحيط بأبيها فى القصر ، وظل المعتمدُ والرّميكية أمُّها فى ولَهٍ دائم عليها ، لا يعلمان من أمرها شيئا ، وكان أحد تجـار إشبيلية قـد اشتراها على أنها جارية ، ووهبها لابنه ، فلما أراد الدخول بها امتنعت ، وأظهرت نسبها ، وقالت : لا أحل لك إلا بعقد النكاح ، إن رضى أبى بذلك ، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها ، وانتظارِ جوابه ، فكتبت إليه بشعر ، فرضى المعتمد بزواجها ، وكتب إليها :

بُنَيَّتِي كُونى به بَرَّة ... فَقَد قضى الدَّهرُ بإسعافه[4]

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥١) ونفح الطيب (مصر ١١٤٠) والمعجب ص ١٠٢ .
(٢) البيتان الثالث والرابع من المعجب .
(٣) فى خريدة القصر « أهوى » .
(٤) النص من أوله الى هنا من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٨ ومصر ١١٤٠) وانظر القصة فيه مفصلة .

قافية القاف

وقال[1] :

من عَزَا المجدَ إلينا قد صدَقْ ... لم يُلَمْ من قال ، مهما قال حَقْ
مجدُنا الشمسُ سَناءً وسنًا ... من يَرُمْ سَتْرَ سَنَاها لم يُطِقْ
أيها الناعى إلينا مجدَنا ... هل يضيرُ المجدَ أن خَطبٌ طَرَقْ
لا تُرَعْ للدمع فى آماقِنا ... مَزجَنْه بدمٍ أيدى الخُرَقْ
حَنِقَ الدهرُ علينا فسطَا ... وكذا الدهرُ على الحرِّ حَنِقْ
وقديمًا كِفَّ المسلكُ بنا ... ورأى منَّا شُموشًا فعَشِقْ
قد مضى منا ملوكٌ شُهِروا ... شُهرةَ الشمس تجلَّت فى الأفُقْ
نحن أبناءُ بنى ماء السَّما ... نحوَنا تطمحُ ألحاظُ الحدَقْ
وإذا ما اجتمع الدِّين لنا ... فحقيرٌ ما من الدنيا افترقْ

ومنها فى ذكر مدة إمارتهم :

حِجَجًا عشرًا وعشرا بعدها ... وثلاثين وعشرين نَسَقْ[2]
أشرقتْ عشرونَ من أنفسها ... وثلاثٌ نيِّرات تأتلِقْ

---

(١) هذه الأبيات صدى لقصة ذكرها ابن بسام فى الذخيرة هى « أن رجلا رأى فى منامه يثرب الكائنة عليهم كأنه رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس بخدهم :

رب ركب قد أناخوا عليهم ... فى ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نعق

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعى للملوك بعلام مما اشتمل من منكره » فقال : من عز المجد ... ... الأبيات

وانظر الذخيرة ق ٢ : ١٥ ب ٢ : ١٩ والحلة السيراء لابن دحية ص ٦٩

(٢) هذان البيتان من الحلة ص ٧٠

وقال[1] :

أنباءُ أسرِك قد طبَّقْن آفاقَا ... بل قد عَمَمْن جهاتِ الأرض إقلاقَا
سَرَتْ من الغرب لا يُطوى لها قدمٌ ... حتَّى أتت شَرقها تنعاكَ إشراقَا
فأحرقَ الفجعُ أكبادًا وأفئدةً ... وأغرقَ الدَّمعُ آماقًا وأحداقَا
قد ضاقَ صدرُ المعالى إذ نُعيتَ لها ... وقيل : إن عليكَ القيدَ قد ضاقَا
أنَّى غُلبتُ ، وكنتُ الدَّهر دَا غَلَبٍ ... للغالبين ، وللسُّبَّاق سَبَّاقَا
قلتُ : الخطوبُ أذلَّتنى طوارقُها ... وكان عَزمِى[2] للأعداءِ طرَّاقَا
متى رأيتَ صُروف الدَّهرِ تاركةً ... إذا انْبَرت لذوى الأخطارِ أرماقَا

قافية اللام

واجتاز يوما عليه فى أسره سربُ قطا ، فهاج وجده ، وأثار من لاعج الشوق ما عنده ، فقال[3] :

بكيتُ إلى سِربِ القَطَا إذ مَرَرْن بى ... سَوارِحَ ، لا سجنٌ يعوقُ ولا كَبْلُ
ولم تكُ — واللهِ المعيذُ[4] — حَسادةً ... ولكن حنيناً أنَّ شَكْلى لها شَكْلُ
فأسرحُ ، لا شَملى صديعٌ ، ولا الحَشَا ... وجيعٌ ، ولا عيناى يُبكيهما ثُكْلُ

---

(١) هذا النص من نفح الطيب (٥ : ١١٠) وقلائد العقيان (٢٦)

(٢) فى نفح الطيب « وكان غرمى إلى الأعداء » .

(٣) هذا النص من نسختى الذخيرة أ ٢ : ١٩ ، ب ٢ : ٣٢ وقلائد العقيان ٢٨ ونفح الطيب ولاق ٦ : ١١٠ .

(٤) رواية الذخيرة « العفاير » .

هنيئا لها أنْ[1] لم يُفرَّق جميعُها ... ولا ذاق منها البعدَ من[2] أهله أهلُ
وأنْ[3] لم تبتْ مثلى[4] تطيرُ قلوبُها ... إذا اهتزَّ بابُ السّجن أو صَلصَلَ القُفلُ
وما ذاك مما يعترينى ، وإنما ... وصفتُ الذى فى جِبلَةِ الخلق من قبلُ
لِنَفْسى إلى لُقيا الحِمام تشوّقٌ[5] ... سواى يُحبّ العيش فى ساقه حَجَلُ
ألا عَصَم اللهُ القَطا فى فراخها ... فإنّ فراخى خبّأتها المـاءُ والظّلُّ

وقال[6] :

لكَ الحمدُ من بعد السيوف كُبولُ ... بساقٍ منها فى السُّجون جُعُولُ
وكنّا إذا حانت لنحرٍ فريضةٌ ... ونادت بأوقات الصّلاة طُبُولُ
شَهدنا فكبّرنا ، فظلّت سيوفُنا ... تُصلّى بهامات العدا فتُطيلُ
سُجُودٌ على إثرِ الرّكوع مُتابَعٌ ... هناك بأرواح الكُماة تسيلُ

قافية الميم

قال من قصيدة يصف فيها الخيل[7] :

تعطّفَ فى ساقٍ تعطّفَ أرقَمٍ ... يُساورُها عضّا بأنياب ضيغَمِ
وإنّى من كان الرّجالُ بسيفه ... ومن سَيفه فى جنّةٍ وجَهنّمِ

---

(١) فى فتح الطيب « إذ » .
(٢) فى الفتح والقلائد « عن » .
(٣) رواية الفتح « وإذ » .
(٤) فى الذخيرة « ليلا » . وما أثبتنا من الفتح والقلائد .
(٥) رواية الفتح والقلائد « تشوف » .
(٦) النص من الذخيرة ٢ : ٢١ ، ب ٢ : ٣٥
(٧) هذا النص من الخريدة (١١ : ١٥١) .

وفى الذخيرة [١] والقلائد [٢] ورد البيتان هكذا :

إليكَ فلو كانت قُيونُك أشعرتْ تَصرَّمَ منها كُلّ كَفٍّ ومِعْصَمِ
مهابةَ من كان الرِّجالُ بسيفِه ومِنْ سيفه فى جنّة وجهنّمِ

وقال وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم [٣] فارتاع لقيده [٤] :

قَيدى أما تعلمُنى مُسلِما أبَيْتَ أن تُشفِق أو ترحَما
دَمى شرابٌ لك ، واللحمُ قد أكلتَه ، لا تَهشِمِ الأعظُمَا
يُبصِرُنى فيك أبو هاشمٍ فيَثْنى القلبُ وقد هُشِّما
إرحَمْ طُفيلا طائشًا لُبُّهُ لم يخش أن يأتيك مُسترحِما
وارحَمْ أُخَيّاتٍ له مِثلَه جرَّعتهنَّ السُّمَّ والعَلْقَما
منهنّ من يفهم شيئا فقد خِفْنَا عليه للبكاء العَمَى
والغيرُ لا يفهمُ شيئا فما يَفْتَحُ إلّا لِرَضاعٍ فَمَا

---

(١) الخطابة المغربية ٢ : ١٣ ، ب ٢ : ١٦

(٢) القلائد (١٢) والظاهر أن هذا الشعر قاله المعتمد لأول عهده بالقيد إذ يقول الفتح « ... فنزل من القصر بالقصر إلى قبة الأسر فقيد لحينه وحان له يوم شر ما ظن أنه يجين . ولما قيدت قدماه قال « إليك فلو كانت ... الأبيات »

(٣) انظر ما سبق فى صفحة ٤٨

(٤) هذا النص من نسختى الذخيرة (٢ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤) وابن خلكان (٢ : ٤٨) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٩) ونفح الطيب ولاق (٤ : ١١٠) .

وأرسل إليه الدّانى حين كان بأغمات قصيدة مطلعها[1] :

وداعٌ ، وَلكِنّى أقولُ سلامُ ... وللنّفس فى ذكر الوداع حِمامُ

فأجابه المعتمد بقوله :

كلامُك حرٌّ والكلامُ غُلامُ ... وسحرٌ ولكن ليس فيه حَرامُ

ودرٌّ ولكن بين جنبيك بحرُه ... وزهرٌ ولكنّ الفؤادَ كِمامُ

وبعد فإن ودّعتنى بخداعة ... فحقّ أن يجنى عليه سلامُ[2]

أعنى على نفسى بتزويد أسهلى ... بلى وقول لا شى على حرام

فدونكه إذ لم أجد لِىَ حيلةً ... وقلبىَ فاعلم فى الطعام طعامُ

فهنئته زادًا وفى الصدر وقدةٌ ... ولَلصّبر من دون الفؤاد غَرامُ[3]

لقد كان فألٌ من سمائك مؤنسٌ ... فقد عاد ضِداً والعزاء رِمامُ

تحلّيتَ بالدّانى ، وأنتَ مُباعِدٌ ... فيا طيبَ بَدْءٍ لو تَلاه تَمامُ

ويا عَجَبًا حتّى السّماتُ تَخونُنى ... وحتى انتباهى للصّديق مَنامُ

أضاءَ لنا أغماتَ قربُك بُرهةً ... وعادَ بها حين ارتَحلتَ ظَلامُ

تسيرُ إلى أرضٍ بها كُنتَ مُضغَةً ... وفيها اكتست باللحم منك عظَامُ

---

(١) النص من الذخيرة ٢ : ١٧ ؛ ب ٢ : ٢١ .

(٢) كذا ورد بالأصل هذا البيت والبيت بعده .

(٣) فى الأصل مرام ولعل ما أثبتنا أولى . والغرام : الهلاك والعذاب .

وأبقَى أُسَامُ الذُّلَّ فى أرض غُربة ... وما كنت لولا الغَدْرُ ذاك أُسامُ

فَبُلِّغتَهَا فى ظلِّ أمن وغبطةٍ ... وسُنِّيَ[1] لى مما يَعوقُ سَلَامُ

وقال[2] :

أبى الدهرُ أن يُقْنِى الحياءَ ويندمَا ... وأن يمحوَ الذَّنبَ الذى كان قدَّمَا

وأن يتلقَّى وجهَ عتبىَ وجهُهُ ... بعُذْرٍ يُغَشِّى صفحتيه التَّذَمُّمَا

ستَعلمُ بَعدى من تكونُ سيوفُه ... إلى كلِّ صَعبٍ من مَراقِيك سُلَّمَا

سترجعُ إن حاولتَ دُونىَ فَتكةً ... بأنجلَ من خدِّ المُبارِزِ أحجَمَا[3]

قافية النّون

ولما خُلع وسجن بأغمات قالت له زوجه اعتماد الرُّميكية : يا سيدى لقد هُنَّا هنا ، فقال[4] :

قالت : لقد هُنَّا هُنا ... مَولاى ، أينَ جاهُنَا

قلتُ لها : إلى هُنا ... صيرَّنا إلهُنَا

وقال[5] :

اقنعْ بحظِّك فى دُنياك ما كانَا ... وعَزِّ نَفْسَكَ إن فارقْتَ أوطَانَا

فى الله من كلِّ مَفقودٍ مضَى عِوضٌ ... فَشْعِر القلبَ إسْلوانا وإيمانَا

---

(١) سناه : سهله . والمراد بالسلام هنا السلامة .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) فى الأصل (المذار وابها) تحريف .

(٤) هذا النص من نفح الطيب (بولاق : ١١٠١) .

(٥) هذا النص من المرجع السابق (ص ١٠٥٠) .

أُكُلَّمَا سَنَحت ذِكرى طَربتَ لها ... هَجَّت دُموعَك فى خَدَّيك طُوفاناَ
أما سمعتَ بسلطانٍ شَبيهك قد ... بزَّتْهُ سُودُ خُطوبِ الدهر سُلطاناَ
وَطِّن على الكرْه ، وارقُب إثرَهُ فرجاً ... واستغنم الله تغنَمْ منه غُفراناَ

وقال[1] :

غَنَّتْكَ أغمانيَّةُ الألحانِ ... ثَقُلَت على الأرواح والأبدان
قد كان كالثُعبَان رمْحُك فى الوغى ... فَغَدا عليكَ القيدُ كالثُعبان
مُتَمَدِّداً بِجِذَاك كلَّ تَمدُّدٍ ... متعطِّفاً لا رحمةً للعَانِى
قلبى إلى الرَّحمن يشكو بثَّه ... ما خَاب من يشكُو إلى الرَّحمٰنِ
يا سائلاً عن شأنه ومكانه ... ما كان أغْنى شأنَه عن شَانِى
هاتيكَ قَينتُه وذلك قَصْره ... من بعد أىِّ مَقاصرٍ وقِيانِ
من بعد كلِّ غَريرةٍ رومِيَّةٍ ... تحكى الحمائمَ فى ذُرَا الأغصانِ

وقال[2] :

سَلَّت علىَّ يدُ الخطوب سُيوفَها ... فجَذَذن من جِلدى الحَصيفَ الأمتناَ
ضَربتْ بها[3] أيدى الخطوب وإنما ... ضَربت رقَابَ الآملين بها المُنَى
يا آمِلِى العاداتِ من نَفَحاتِنا ... كُفُّوا ، فانّ الدهرَ كفَّ أكُفَّناَ

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان (٢٦) والذخيرة (١ ٢ : ٢٠ ؛ ب ٢ : ٢٤) ونفح الطيب أوروبا (٢ : ٥٧٤) وبولاق (١ : ١١٠٥) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) الضمير يعود إلى السيوف .

وقال فى إثر ثورة ابنه عبد الجبّار[1] :

كذا يَهلِكُ السّيفُ[2] فى جَفنه ... إلى هَزِّ كفٍّ طويلَ الحَنينِ

كذا يَعطَشُ الرُّمحُ لم أعتقله[3] ... ولم تُروِه من نجيعٍ يَمينِي

كذا يُمنَعُ الطَّرفُ[4] عَلْكَ الشكيـ[5]ـم ، مرتقبًا غِرَّةً فى كَمينِ

كأنّ الفَوارسَ فيه ليوثٌ ... تُراعِى فَرائسَهَا فى عَرينِ

ألَا شرفٌ يَرحمُ المشرفِيَّ مما به من ثَمات[6] الوتينِ

ألا كَرَمٌ يُنعش السَّمهرِيَّ . ويَشفيه من كلِّ داءٍ دفينِ

ألا حَسَنٌ[7] لابن مَحنيَّةٍ[8] ... شديدِ الحنين ضعيفِ الأنينِ

يُؤمِّل من صدرِها[9] ضَمَّةً ... تُبوِّئُه صدرَ كفِّ مُعينِ

---

(١) هذا النص من نسخ الطيب (أزهرية ٢ : ٥٧٦) وبولاق (١١٠٢) وقلائد العقيان (٢٧) .

(٢) السيف فاعل يهلك ، «وطويل» منصوب على الحال من السيف .
«وإلى هز كفى ...» متعلق بالحنين ، وإضافة الهز للكف من إضافة المصدر للفاعل .

(٣) اعتقل الرمح : جعله بين ساقه وركابه .

(٤) الطرف (بكسر الطاء) : الكريم من الخيل .

(٥) الشكيم : مفرده الشكيمة ، وهى حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس .

(٦) فى الأصل «ثمات» تحريف ، والثمات كالثمالة فضله كالفرح : الفرح بقية الخمر ، والوتين : عرق إذا انقطع مات صاحبه ، جعله وتين وارثة ، وإضافة الثمات إلى الوتين يراد به ثمالة صاحبه .

(٧) الحسنة : الرحمة والرأفة .

(٨) المحنية : القوس .

(٩) الضمير عائد على المحنية .

قافية اليـاء

وقال[1] :

تُؤمّل للنّفس الشّجيّة فَـرجَةً[2] وتأبَى الخطوبُ السّود إلّا تمـاديَا
لياليك من زاهيك أصفَى صحبتَهـا كذا صَحبتْ قبلُ الملوكُ اللّياليَـا
نَعـيمٌ وبـؤسٌ ، ذَا لذلك نَاسخٌ وبَعدَهما نسخُ المنـايَا الأمانيـا

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان (٢٦) ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٥٧٥) وبولاق (١١٠٥) .

(٢) الفرجة بفتح الفاء : الراحة من حزن أو مرض .

ملحق

وقع لنا فى أثناء تجربة الطبع كتاب مختارات من الشعر الأندلسى جمعها الدكتور ا. ر. نيكل فعثرنا فيه على القطع التالية ولم يشر إلى مصدرها :

وقال :

يومَ يقولُ الرسولُ : قد أذِنت ... فأت على غير رِقبةٍ وَلِجِ
أقبلتُ أهوِى إلى رِحَالِهمُ ... أهدَى إليها بريحِها الأرجِ

وقال :

أزِفَ الصيامُ وزادَ نورُ النرجس ... فلقيت زَورتَه بحثُّ الأكؤُسِ
فى ليـــلةٍ دارت علىَّ نجومُها ... حتى سكرتُ بكف قُوتِ الأنفسِ
خَودٌ تملكت الفؤادَ فريدةٌ ... بندى الثنايا والمحيَّا المُشمسِ
وجعلتُ نَقْلِى[1] ذكرَ موصلِ زَفرتى ... يجمعتُ أشتاتَ المنى فى مجلسِى
ولقد ذكرتُ فزادَ عينىَ قُرَّةً ... هُونُ السّبالِ وخزى رب البرنس

---

(١) النقل : ما يتنقل به على الشراب .

وقال :

غلاميَّةٌ جاءت ، وقد جعلَ الدُّجى ... لخاتِمِ فيها فَصَّ غاليةٍ خَطَّا
فقلتُ أحاجِيها بما فى جفونها ... ومَا فى الشِّفاه اللُّعس من حُسنها المعطى
محيرةُ العينين فى غير سَكرة : ... متى شربت ألحاظ عينيك إسفنطا[1]
أرى نكهة المسواك فى حمرة اللَّمى ... وشارِبَك المخضرَّ بالمسك قد خُطَّا
عسى قزحًا قبَّلتِـــه فإخاله ... على الشفة اللمياء قد جاء مُختطَّا

هذا ما عثرنا عليه من شعر المعتمد وما سنظفر به بعد سنبثه فى الطبعات التالية إن شاء الله .

---

(١) الاسفنط : الخمر .

فهرس القوافى

الألف المقصورة

	البحر	الصفحة	الأبيات
الصبح قد مزق ثوب الدجى	فرق انهم يكفى سنا	المديد	١	٢
ماسأل ربى أن يديم بى الشكوى	فقد قربت من مضجعى الرشأ الأحوى	الطويل	٢	٤

الهمزة

مررت بكرمة جذبت ردائى	فقلت لها عزمت على أذائى	الوافر	٢	٢
ولقد شربت الراح يسطع نورها	والليل قد مد الظلام ردائه	الكامل	٢٨	٨
حسد القصر فيكم الزهراء	ونعمرى وعمركم ما أساء	الخفيف	٤٩	٢
أيها الصاحب الذى فارقت عينى ونفسى منه السنا والسناء		الخفيف	٤٩	٤
خرجوا ليستسقوا فقلت لهم	دمعى يجود لكم عن الأنواء	الكامل	٨٩	٢
دعانى بالبقاء وكيف يهوى	أسير أن يطول به البقاء	الوافر	٩٠	١١

البـــاء

جوهر قد عذبنى	منك تمادى الغضب	الرجز	٣	٤
وأغن يلعب بالهموم كما غدت	أرماح قومى بالعداة لواعبا	الكامل	٣	٢
قد ساق مهفهف غنج	قام ليسقى بقاء بالعجب	البسيط	٣	٢
يا يوسا الملك الذى	كفاه بحلتا السحاب	الكامل	٣١	٩
امنن على عبد رجاك بساعة	يرتاح فيها باصطياد أراتب	الكامل	٣٢	٢
أمعتضدا بالله دعوة آمل	رجاك على بعد فاصبح ذا قرب	الطويل	٣٢	٩
أيا ملكا يجل عن الضريب	ومن بانت غفران الذنوب	الوافر	٣٢	٦
يا عجبا دعا الى مستجيب	فسمعنا دعاءه من قرب	الخفيف	٥٠	٢
تقدم الى ما اعتدت عندى من الرحب	ورد تفقك العتبى جهارا من العتب	الطويل	٥٢	٥
لدى لك العتبى تراح من العتب	رسعيك عندى لا يضاف الى ذنب	الطويل	٥٢	٥
غزر عليك مبازك	فى طيه الفتح الغريب	الكامل	٥٣	٣
قل لمن قد جمع العلم	وما أحصى صوابه	الرمل	٩١٠	٣
شعراء طيبة كلهم والمغرب	ذهبوا من الإغراب أبعد مذهب	الكامل	٩١	٤
لو أستطيع على التزيد بالذهب	فعلت ؛ لكن عدانى طارق النوب	البسيط	٩٢	٩
أهى الدنيا الدنية لا توانى	فأجمل فى التصرف والطلاب	الوافر	٩٣	٣

		الصفحة	العدد	الأبيات
التـــاء				
ولما التقيا لوداع غدية	وقد خفقت فى ساحة القصر رايات	الطويل	٤	٤
يا هلالا اذا بدا لى تجلت	عن فؤادى دجنة الكربات	الخفيف	٤	٥
الجيم				
يا غرة الشمس التى قلبى لها أحد البروج		الكامل	٥	٢
يا بديع الحسن والاحسان يا بدر الدياجى		الرمل	٥	٣
يوم يقول الرسول قد أذنت	هات على خير رقية ولج	المنسرح	١١٩	٢
الحـاء				
غلب السكرى ورنت مطربا الراح	واشتفى شدو حدائها الصداح	الكامل	٥	٤
محن حكى صانعوه السماء	لتقصر عنه طوال الرماح	المتقارب	٢٩	٣
مولاى أشكو إليك داء	أصبح قلبى به قريحا	البسيط	٣٣	٣
قضى وطرا من أهله كل نازح	وكم يداوى علة فى الجوارح	الطويل	٩٣	٢
كنت حلف الندى ورب السماح	وجليس النفوس والأرواح	الخفيف	٩٤	٧
الدال				
كتبت وعندى من فراقك ما عندى	وفى كبدى ما فيه من لوعة الوجد	الطويل	٦	٦
حرم النور علينا ورقد	وابتلانا ببواه ثم صد	الرمل	٦	٤
قلت : مهلى ترفقى	قال : ولا طول الأبد	الرجز	٧	٢
لاح وفاحت روائح الند	مهتصر الخمر أهيف القد	المنسرح	٧	٢
أباح لطيفى طيبها الخد والندا	فمض به تفاحة واجتنى وردا	الطويل	٧	٦
وشادن أسأله قهوة	فجاء بالقهوة والورد	السريع	٨	٢
عفا الله عن سحر على كل حالة	ولا حوسبت عما بها أنا راجد	الطويل	٨	٤
أغائبة الشخص عن ناظرى	وحاضرة فى ضمير الفؤاد	المتقارب	٨	٦
إنى رأيتك فى المنام فجئتنى	وكأن سعدك الوثير وسادى	الكامل	٩	٤
أليكم إلى الصب الشجى معاد	فتفك عنه للأسى أصفاد	الكامل	٩	٤
أدار النوى كم طال فيك تلددى	وكم عقنى عن دار أهيف أغيد	الطويل	٩	٥
يا ظبية لطفت منى منازلها	فالقلب منهن والأحداق والكبد	البسيط	١٠	٣
يا ليت مدة بعدك	رشفة مثل قبلك	المجتث	١٠	٤
اشرب الكأس فى وداد ودادك	وتأنس بذكرها فى انفرادك	الخفيف	١٠	٢

لو زرتنا لرأيت ما لم تعهد	ذوب الجبين خليط ذوب نضحه	الكامل	١١	٢
ولربما منعت لنا من مائها	سيفا وكان عن الموارد مغمدا	الكامل	٢٩	٢
فوالى جزيل بشره الشكر والحمدا	وصنع جميل يوجب النصح والودا	الطويل	٣٤	٥
ألا يا غرة السعد	وقرة ناظر المجد	المخلع	٣٤	٥
مولاى ياذا الأيادى	كواكفات العوادى	المجتث	٣٥	٩
وردت أبا الفتح يا سيدى	ورود الكرى بعد طول السهاد	المتقارب	٤٦	٣
فديت أبا عمر من فتى	متى يختبر غيبه يحمد	المتقارب	٥٣	١١
وعدت وأخلفتنى الموعدا	وخالفت بالمنهى المبتدا	المتقارب	٥٤	١٧
إذا كان قد أودى الزمان بمثله	ولم يبق فى عود له طمع بعد	الطويل	٦٨	٣
صنع الريح من الماء زرد	أى درع لقتال لو جمد	الرمل	٧٤	١
يا سيدى الأعلى ومن	أمددته أقوى المدد	الكامل	٨٦	٥
أوعدت أم يجزمك الرعد	قد عاد صدا كل ما تعد	الكامل	٨٧	٥
تبدلت من عز ظل البرد	بذل الحديد وثقل القيود	المتقارب	٩٤	٣
أما لانسكاب الدمع فى الخد راحة	لقد آن أن يفنى ويفنى به الجهد	الطويل	٩٤	٦
بكى المبارك فى إثر ابن عباد	بكى على إثر غزلان وآساد	البسيط	٩٥	٤
قم الغريب سقاك الرائح الغادى	حقا ظفرت بأشلاء ابن عباد	البسيط	٩٦	٤

الراء

ألا حى أوطانى شباب أبا بكر	وسلهن هل عهد الوصال كما أدرى	الطويل	١١	٩
دارى تلاعه بلطف تلاعة	فتى بذاك رقيبه لم يشعر	الكامل	١٢	٢
يا معرضا عنى ولم أجن ما	يوجب إعراضا ولا هجرا	السريع	١٢	٢
أكثرت هجرى غير أنك ربما	عطفتك أحيانا على أمور	الكامل	١٣	٢
يا صموتى من البشر	يا كوكبا بل يا قمر	الرجز	١٣	٦
حسدت كتابى على فوزه	بإبصاره الغرة الزاهرة	المتقارب	١٣	٢
لم تصف لى بعد والا فلم	ثم أر فى عنوانها جوهرة	السريع	١٤	٣
علقت جائلة الوشاح غريرة	تختال بين أسنة وبواتر	الكامل	١٤	١
مسكك أفوح فى معطسى	ووجهك أملح فى ناظرى	المتقارب	١٥	٢
غامت لتحجب ضوء الشمس قامتها	عن ناظرى فحجبت عن ناظر الغير	البسيط	١٥	٢
القلب قد لج فما يقصر	والوجد قد جل فما يستر	السريع	١٦	١٥
ولما اقتحمت الوغى دارعا	وقنعت وجهك بالمغفر	المتقارب	١٧	٢
ثم له الحسن بالعذار	واقترن الليل بانتشار	البسيط	١٧	٣
جاءتك ليلا فى ثياب نهار	من نورها وغلالة البلار	الكامل	١٨	٤

		البحر	الصفحة	الأبيات
سكن فؤادك لا تذهب بك الفكر	ماذا يعيد عليك الويث والحذر	البسيط	٣٦	٤٠
يأيها الملك الذى لم يزل	يسرى إلى غرته السارى	السريع	٤٠	٢
أبا ملكا عمنى فضله	ولم ألف فى بحر نعماه زبرا	المتقارب	٤٠	٥
الملك فى على الدفتر	فنحل عن قود العساكر	الكامل	٤٦	١٦
أبا هاشم هشمتنى الشفار	فله صبرى لذاك الأوار	المتقارب	٤٨	٢
أنعمة الروض فى صبا السحر	من بعد ما بات والأذاء فى سمر	البسيط	٥٦	٧
ترفقا يا أبا يحيى ومن ظفرت	كفى به قدمانى فضله الظافر	البسيط	٥٧	٣
الجود أحمل على ثبى من الظفر	ومن ينال قصى السؤل والوطر	البسيط	٦٥	٦
بكت أن رأت الفين ضمهما وكر	مساء وقد أحنى على إلفها الدهر	الطويل	٦٨	٩
الأكثرين مسوّدا ومملكا	ومتوجا فى سالف الأعصار	الكامل	٧٢	١٦
يا خير من يلحظه ناظرى	زيادة ما شابها زور	سريع	٨٠	١٣
أيها الفائق أهل العصر فى مرأى ومخبر		الرمل	٨٢	١١
هم أوقدوا بين جنبيك نارا	أطالوا بها فى حشاك استمارا	المتقارب	٩٧	٢٠
غريب بأرض المغربين أسير	سيبكى عليه منبر ومسرير	الطويل	٩٨	١٢
غربان أغمات لا تعدمن طيبة	من الليالى وأفانا من الشجر	البسيط	١٠٠	١٠
فيا مضى كنت بالأعياد مسرورا	فساءك العيد فى أغمات مأسورا	البسيط	١٠٠	٨
جبيت فلا والله ما ذاك عن أمرى	فأصبح فدتك النفس سعيا إلى عذرى	الطويل	١٠١	١٠
إليك الفر من كف الأسير	فإن تقبل تكن عين الشكور	الوافر	١٠٢	٩
ودّ برى غيا على وبرا	وجفا فاستحق لوما وشكرا	الخفيف	١٠٤	٥
يقولون صبرا ، لاسبيل إلى الصبر	سأبكى وأبكى ما تطاول من عمرى	الطويل	١٠٥	١٧

السين

خليلى قولا : هل على ملامة	إذا لم أغب إلا لأنحضر الشمس	الطويل	١٩	٣
وشمة تنى ظلام الدجى	نفى يدى النعم عن الناس	السريع	٣٠	٣
أيها المنحط حتى مجلسا	وله فى النفس أعلى مجلس	الرمل	٥٧	٢
لولا عيون من الواشين ترمقنى	وما أحاذره من قول حراس	البسيط	٥٨	٢
من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه	والشوك ينبت فيه الورد والآس	البسيط	١٠٧	٢
أزف الصيام وزاد نور النرجس	فلقيت زورته بحث الأكؤس	الكامل	١١٩	٥

الصاد

سرورنا دونكم ناقص	والطيب لاصاف ولاخالص	السريع	١٩	٣
كأنها فوق العصا		الرجز	٧٤	١

	البحر	الصفحة	الأبيات
الضاد			
أبا الوليد تجاوز وهب لنا القريضا	المجتث	٥٨	٦
قافية الطاء			
علامية جاءت وقد يحمل المرء	خاتم فيها فص غالية خطا	الطويل	١٢٠	٥
العين			
سلي تخلي إن كنت غير عليمة	بأن ليس في حبي لغيرك مطمع	الطويل	١٩	٤
تظن بنا أم الربيع سآمة	الا عمر الرحمن ذنبا نواقمه	الطويل	٢٠	٤
أسير الهوى نفسي فسدبها	يوم الوداع فلم يطق سمعا	الكامل	٢٠	٢
ريح الفؤاد فما عسى أن أصنعا	ولقد نصحت فما أردت أن أسمعا	الكامل	٢٠	٥
ربعت من البرق وق كفها	برق من القهوة لماع	السريع	٣١	٢
ألا يا مليكا ظل في الخطب مفزعا	ربا واحدا قد فاق ذا الخلق أجمعا	الطويل	٤١	٥
لما تما سكت الدموع	وتقبه القلب الصديع	الكامل	٨٨	١٣
قبح الدهر ، فاذا صنعا	كلما أعطى نفيسا نزعا	الرمل	١٠٨	٧
الفاء			
أيا نفس لا تجزعي واصبري	وإلا فإن الغوى متلف	المتقارب	٢١	٣
بنيتي كوني به برة	فقد قضى الدهر بإسعاده	السريع	١٠٨	١
القاف			
ثلاثة منعتها عن زيارتنا	خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق	البسيط	٢٢	٣
أنا في عذاب من فراقك	سكران من خمر اشتياقك	الكامل	٢٢	٥
من عزا المجد إلينا قد صدق	لم يلم من قال مهما قال حق	الرمل	١٠٩	١١
أنباء أمرك قد طبقن آفاقا	بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا	البسيط	١١٠	٧
الكاف			
اختفى وعدك لي	وتخلفا أعهدك	رجز	٢٢	٢
أبصرت طوقك بين مشتجر القنا	فبدا لطرفي أنه فلك	الكامل	٢٣	٢
الشمس تخجل من جمالك	فتغيب مسرعة لذلك	الكامل	٤١	٣
يا قرة أفئدة وزادي	مقالة لم تشب بإفك	البسيط	٥٨	٦
أمطلع زهر نجوم الكلام	ومشرقه من خلال الحلك	المتقارب	٥٩	٣

		البحر	الصفحة	الأبيات
اللام				
بكرت تلوم وفى الخطوب بلابل	سفها وهل يثنى الحليم الجاهل	الكامل	٢٣	٦
لقلبى ليعذلك على عاذل	فشوق صحيح ، وجسمى عليل	المتقارب	٢٤	٣
من عاشق يشكو صبابته	إلى محب دائم مثله	السريع	٢٤	٣
بعثنا بالغزال إلى الغزال	والشمس المنيرة بالهلال	الوافر	٢٤	١
يقاتل بالحظ محبوبنا	وبالسيف والرمح أمضى قتال	المتقارب	٢٥	٢
وقلنا خذى جوهرا ثابتا	فقالت خذوا عرضا زائلا	المتقارب	٢٥	١
هلل فؤادك قد أبل عليل	راغم حياتك فالبقاء قليل	الوافر	٢٥	٥
يا ملكا قد أصبحت كفه	ساخرة بالعارض الهاطل	السريع	٤٢	٣
بعثت بالمرسل البساطا	متى على خلقك الجليل	البسيط	٤٢	٣
وساعة الزمان مسعفة	قضت فيها أوانبا وعجل	المنسرح	٤٢	٣
من للوك بشأو الأصيد البطل	هيهات جاءتكم مهدية الدول	البسيط	٦٥	٥
بكيت أبى سرب القطا اذ مررن بى	سوارح لاسجن يعوق ولا كبل	الطويل	١١٠	٩
لك الحمد من بعد السيوف كبول	يساق منها فى السجون بحول	الطويل	١١١	٤
الميم				
لك الله : كم أودعت قلبى من أسى	وكم لك مابين الجوانح من كلم	الطويل	٢٥	٢
حكمه فى مهجتى حسنه	فظل لا يعدل فى حكمه	السريع	٢٦	٣
دارى الغرام ورام أن يبكيها	وأبى لسان دموعه فبكاها	الكامل	٢٦	٤
يامنبع الإكرام إنعاما	ومنبع الإفعام إتماما	السريع	٤٢	٧
ياليث حرب ضق الأعادى	ضمين منه أريا وسما	البسيط	٤٣	٦
أوجه البدر يشرق فى الظلام	وستر الله مد على الأنام	الوافر	٤٤	٤
أهلا بكم صحبتكم نحوى الديم	إن كان لم يتجح لى بكم حلم	البسيط	٦٠	٧
يامن تمرمن فى بريد مسامتى	لا تعرضن فقد نصحت لمندم	الكامل	٦١	٢
حث بحقائق الجماح وقد	أمكن ورد فلا يطل حوم	السريع	٦٢	٤
كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا	الدين أمتن والمروءة أكرم	الكامل	٦٧	٧
انظرها فى الظلام قد نجما		الرجز	٧٥	٣
يا سيدى يا معدن العلم	يا آلة الحرب والسلم	السريع	٧٧	٢
تعطف فى ساق تعطف أرقم	يساورها عضا بأنياب ضيغم	الطويل	١١١	٣
فيدى أما تعطى مسلما	أبيت أن تشفق أو ترحما	السريع	١١٢	٧
كلامك حر والكلام غلام	وبحر ولكن ليس فيه حرام	الطويل	١١٣	٧
أبى الدهر أن يبقى الحياء ويسدما	وأن يحو الذنب الذى كان قدما	الطويل	١١٤	٤

	البحر	الصفحة	الأبيات
النون			
يا بدر تم تجلى ... فالأرض تشرق منه	المجتث	٢٦	٣
سميت سيفا وفى عينك سيفان ... هذا تقتل مسئول وهذان	البسيط	٢٦	٤
أياما جدا لم يرم شاخصا ... من المجد فاحتل غير القنن	المتقارب	٤٤	٤
دوا بعثت مفصلا بجمان ... أو روضة مسكية الريحان	الكامل	٦٢	٢
قد در أبى السنان ... من فارس شهم الجنان	الكامل	٦٢	٣
هذا المؤذن قد بدا بأذانه	الكامل	٧٥	١
يا كريم المحل فى كل معنى ... والكريم المحل ليس يعنى	الخفيف	٦٣	٢
يا غيم عينى أقوى منك تهتانا ... أبكى لحزن وما حنت أحزانا	البسيط	٦٩	١٣
قالت لقد هنا هنا ... مولاى أين جاهنا	الرجز	١١٤	٢
أقنع بحظك فى دنياك ما كانا ... وعز نفسك إن فارقت أوطانا	البسيط	١١٤	٥
غنتك أغنية الألحان ... تفنت على الأرواح والأبدان	الكامل	١١٥	
صاحت على يد الخطوب سيوفها ... فغدون من جلدى الخصيف الأمتنا	الكامل	١١٥	٣
كذا يهلك السيف فى جفنه ... إلى من كفى طويل الخنين	المتقارب	١١٦	٨
الهاء			
العين بعدك تقذى ... بكل قبيح تراه	المجتث	٦٣	٢
سعد السعود يد ... فوق الزاهى	الكامل	٧٦	١
الياء			
قلبى موال لعاديه ... وعاشق من لا يباليه	السريع	٢٧	٤
فكت مقلتاه بالقلب منى ... وبكت مقلتاى شوقا إليه	الخفيف	٢٧	٢
خلعت ثوب الصفى ... على العبيد الوفى	المجتث	٤٥	٤
لما رأيت نأى السكرى عن ناظرى ... رددته لما انصرفت عليه	الكامل	٦٣	١
قد زارنا النرجس الذكى ... وحان من يرمث العشى	البسيط	٦٤	٣
تأمل النفس الشجية فرجة ... وتأو الخطوب السود إلا تعاديا	الطويل	١١٧	٣

فهرس الأعلام

(ا)

أرسطاليس ... ٤٧
أريوى (فى شعر) ... ٦٥
ابن الأصبغ بن أرقم ... ٥٩
اعتماد الرميكية ... ٨/٩/١٨/١٩/٢٠/٢٣/١١٤
أمية بن أبى الصلت ... ١٥

(ب)

بثينة بنت المعتمد ... ١٠٨
أبو بكر بن يحيى الخولانى المنجم ... ٥٣/٨٨

(ج)

ابن جاخ ... ٧٤
بذيعة (فى شعر) ... ١٠٣
بجومرة ... ٣/١٤/١٩

(ح)

الحصرى ... ٩١
ابن حديس ... ٧٥/٩٨/١٠١/١٠٢
ابو حنيفة النعمان ... ٤٧
حواء بنت تاشفين ... ٩٧

(خ)

أبو خالد بن المعتمد ... = يزيد
الخليل بن أحمد ... ٤٧

(د)

الداني ١٨/٥٦/٧٦/١٠٢/١٠٣/١٠٤/١١٣

(ر)

الراضي بن المعتمد = يزيد ... ...
أم الربيع = اعتماد ... ...
الرشيد بن المعتمد = عبد الله ... ...

(ز)

الزباء (في شعر) ١٠٣
ابن الزنجاري ٩٢
ابن زيدون = أبو الوليد ... ...

(س)

سحر ٨/٢
سراج الدولة بن المعتمد ٦٩/١٠٥/١٠٧
سعد بن المعتمد ٦٨
أبو السنان (في شعر) ٦٢
سيبويه ٤٧
سيف ٢٦

(ش)

ابن شنغير ٦٣

(ظ)

الظافر لقب المعتمد ١٥

(ع)

أبو عامر بن غنـ شلب ٥٠

عبد الجبار بن المعتمد ١١٦

بنو عبد العزيز امراء بلنسية ٧١

عبد الله الرشيـد بن المعتمد ٢٤/٧٦/٩٣

أم عيدة ٧

العماد الأصفهاني ٨٩/٩٧

ابن عمار = محمد بن عمار ... ... —

أبو العلاء بن زهر ٩٠

أبو عمرو (في شعر) ٥٣

أبو عمرو بن المعتمد = سراج الدولة ... ... —

(ف)

الفتح ابن خاقان ٥٣

الفتح بن المعتمد (في شعر) ٨٦/٦٨/٧٠/١٠٥/١٠٧

ابن فورك = محمد ... ...

(ق)

أبو القاسم بن المرزبان ٢٤

قر ١٥

(ك)

ابن الكيال = الدماني ... ...

(م)

المأمون بن المعتمد = الفتح ... ...

المؤيد (لقب المعتمد) ١٥

ابنة مجاهد العامري ٢٤

محمد بن عمار ... ... ١١/١٨/٥١/٥٢/٦٣/٦٤/٧١—٧٦

محمد بن عبد الملك ٤٧
أبو محمد المصرى ٤٩
ابن المرزبان = أبو القاسم ... ... —
المسيح ٣٣
ابن المطرز ٧١
ابن المعتز ٢٥
المعتصم بن صمادح ٥٦/٥٩/٦١
المعتضد ١١/٢٩/٣٢/٣٧/٥٧

(ن)

أبو نصر بن المعتمد = الفتح ... ...

(هـ)

أبو هاشم بن المعتمد ٤٨/١١٢
هرمس ٤٧

(و)

وداد ١٠
أبو الوليد (فى شعر) ٥٨
أبو الوليد البطليوسى (النحوى) ١٤
أبو الوليد بن زيدون ٥٤/٥٥/٥٧/٦٣/٦٦/٧٧/٨٠/٨١/٨٣/٨٥/٨٦
أبو الوليد الشقندى ٢
أبو الوليد بن المعلم ٦١
أبو يحيى (فى شعر) ٥٧

(ى)

يزيد بن المعتمد ... ... ٤٦/٦٨/٧٠/١٠٥/١٠٧ (فى شعر)
يوسف بن تاشفين ٥٣/٦١/٨٩/٩٤/٩٧

فهرس البلدان والأماكن

(ا)

إشبيلية ٢٦/٣٥/٥٩/٧٤/٨٨/٨٩/٩٩

اغمات ٩٣/٩٤/٩٥/٩٧/١٠٠/١٠١/١٠٢/١١٣/١١٤

(ب)

بلنسية ٧١

(ث)

الثريا (قصر) ٩٥/٩٩

(ح)

حمص = إشبيلية ... ...

(ز)

الزاهر (قصر) ٩٩

الزاهي (قصر) ٧٧/٩٥/٩٩

الزلاقة (موضع) ٥٣

الزهراء (قصر) ٤٩

(س)

سمط السعود (قبة للمتمد) ٧٦/٩٩

(ش)

الشراجيب (قصر) ١١

شلب ١١

شنبوس ٧٢

(ط)

طنجة ... ٩١

(ع)

العدوة ... ٨٩

(ف)

فاس ... ٩٤

(ق)

قرطبة ... ٥٦/٦٥
قصر البحات ... ٤٧

(ل)

لورقة ... ٤٦

(م)

مالقة ... ٣٦
المبارك (قصر) ... ٩٥
مرسية ... ٥١
مكناسة ... ٩٣

(و)

الوحيد (قصر) ... ٩٥

تم طبع هذا الكتاب في يوم ٦ شوال سنة ١٣٧٠
(١٠ يوليه سنة ١٩٥١) م

مدير عام المطبعة الأميرية

محمد يوسف همام

الطبعة الأميرية ٣٢١-١٩٤٩-١٠٠٠